شعر ابن شخيص الأندلسي
قراءة نقدية

د/ رمضان عيد محمد بدر
مدرس الأدب الأندلسي بقسم اللغة العربية
كلية الألسن – جامعة الأقصر

الملخص:

شاعر أندلسي، ولد ونشأ وعاش ومات بالأندلس، وعاصر أربعة من خلفاء وحجاب العهد الأموي، هم عبد الرحمن الناصر، والحكم المستنصر بالله، والمنصور العامري، وعبد الملك الملقب بالمظفر، وشاعرنا هو أبو عبد الله محمد بن مطرف بن شخيص الأندلسي، فهو من "أهل الأدب المشهورين، ومن أعيان الشعر المقدمين". واستطاع شاعرنا أن يتناول الموضوعات الشعرية التقليدية المعهودة من مدح، ووصف، وغزل، وهجاء بفنية عالية وأداء بارع، وأسلوب يملك مجامع القلوب، ويحمل قدراً كبيراً وحسّاً رفيعاً من المشاعر الصادقة والجدة المصاحبة للابتكار، وما بقي من شعره يؤكد صدق ما ذهبنا إليه. وقد تناول البحث شعر ابن شخيص الأندلسي، قراءة نقدية، راصداً أهم ما تتسم به لغة الشعر لديه، واقفاً أما الموسيقى بنمطيها: الخارجي والداخلي، مسلطاً الضوء على الصورة الشعرية .

المقدمة:

يعدُّ ابن شخيص الأندلسي واحداً من أهم شعراء العهد الأموي، إن لم يكن أشهرهم، فهو شاعر بلاط، وقد تلقى أهل العهد الأموي شعره بإجلال وحفاوة بالغة حتى جعلوه من المقدمين لدى الخلفاء الأمويين والحجاب العامريين .

وشعره وثيقة تاريخية لهذا العهد، وصورة بارزة للحياة الأدبية والفكرية والاجتماعية، وفيه تصوير واضح للنزاع السياسي القائم بين خلفاء بني أمية والخارجين على الخلافة الأموية من أهل العدوة المغربية، وفيه صورة واضحة لثراء الخلافة الأموية حيث مدينة الزهراء، تلك المدينة الملوكية التي بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر، والزاهرة تلك المدينة الملوكية التي بناها الحجاب المنصور العامري، فشعره على قلته "٣٢٤ بيتاً"[١] يفسر العديد من الأحداث المتنوعة التي عاصرتها الخلافة الأموية .

وقد درست أبرز الموضوعات الشعرية لدى ابن شخيص الأندلسي، تناولت أهم المعاني التي تطرق إليها في مدائحه من صفات حسية ومعنوية، ثم تحدثت عن الوصف وتأثير طبيعة الدولة الأموية

(١) أحمد عبد القادر صلاحية، شعر ابن شخيص الأندلسي، دار ابن القيم للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ط١، ١٩٩٢م، ورمضان القلماوي، شعراء بني عامر المغمورين بالأندلس، جمع وتحقيق ودراسة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٢٢م .

الخلابة وتأثر شاعرنا بهذه الطبيعة المتحركة والساكنة، وكذلك وصف بعض المظاهر الحضارية الأخرى، ثم تناولت الحديث عن الغزل ومدى تأثره بالبيئة المحيطة به التي عمرت بمجالس الشراب والغناء والخمر والموسيقى، والتي كثر فيها السقاة والجواري والمغنون، وقد تفنن ابن شخيص الأندلسي في هذا الغزل بنوعيه .

وقد تمثلت القراءة النقدية التي دارت حول شعر ابن شخيص الأندلسي في دراسة لغته الشعرية، فتناولت لغة الشاعر وملامح تفردها، راصداً أهم ما تتسم به لغته الشعرية من سمات أملتها ظروف وبيئة مغايرة، واقفاً أمام الروافد التراثية التي أثرت المعجم الشعري لديه، كما درست في الألفاظ: الألفاظ المعجمية الجزلة، والألفاظ الرقيقة السهلة، والألفاظ الأندلسية الطابع، والألفاظ الخاصة بالطبيعة وعناصرها المختلفة، وتناولت الموسيقى الشعرية بنمطيها الخارجي والداخلي، مسلطاً الضوء على كيفية إيثار ابن شخيص الأندلسي لبحر دون آخر أو حرف روي دون غيره، من خلال رصد دقيق لنتاجه الشعري في صورة تامة أو قريبة من التمام، كما أضافت وصفاً وافياً لوسائل الأداء في الموسيقى الداخلية، ثم تناولت الصورة الشعرية وتحدثت عن التشبيه في شعره كوسيلة تشكيل، فهو من أهم العناصر الفنية التي لعبت دوراً كبيراً في قصائده الشعرية، ولذلك لجأ إليه شاعرنا كأداة فنية للتعبير عن خلجاته ومشاعره النفسية .

أما عن الدراسات السابقة التي تناولت شعر ابن شخيص الأندلسي، قراءة نقدية، فلم أقف حسب علمي- على دراسة أدبية خصصت للجوانب النقدية والفنية في شعر الشاعر مؤلفاً مستقلاً، لذا كانت هذه الدراسة لشعر ابن شخيص الأندلسي وبيان خصائصه النقدية لتقف به في مقدمة الفنون الأدبية التي تخص المكتبة الأندلسية .

وقد رجعنا إلى مجموعة من المصادر والمراجع الأندلسية التي تحدثت عن شعر الشاعر، فكان من أهمها وأبرزها: كتاب المقتبس، لابن حيان، والتشبيهات من أشعار أهل الأندلس لابن الكتاني، وجذوة المقتبس للحميدي، وبغية المتلمس للضبي، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري التلمساني، ومجموع شعر ابن شخيص الأندلسي الذي قام بجمعه الدكتور أحمد عبد القادر صلاحية والدكتور رمضان القلماوي... وغيرها من المصادر والمراجع التي تعرضت لشاعرنا الأندلسي .

وقد اعتمدت في دراستي على المنهج الفني لأنه يقيم العمل الشعري على أسس فنية تستمد خيوطها من النص الشعري ذاته، كما اعتمدت على المنهجين الإحصائي والتاريخي .

ابن شخيص الأندلسي (ت قبل الأربعمائة هـ)

- لمحة عن الشاعر وحياته [*]:

هو محمد بن مطرف بن شخيص ، يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن شخيص الأندلسي .

ولد ابن شخيص الأندلسي بقرطبة في بيت رفيع ، فكانت أسرته ذات مجد وفضل ، تجالس الخلفاء والوزراء وأهل المكانة المرموقة في الدولة ، تنادمهم وتهنئهم وتمدحهم ، فقد كان ابن شخيص الأندلسي " ممن يحضر مجلس المظفر بن أبي عامر وماشاه يوماً في بستان فنظر إلى ورد مقابل آس ورغب أن يقول في ذلك ، فقال :[الوافر]

أرادَ الـــــوردُ بـــــالآسِ انتِقاصـــــاً فقـــالَ لـــهُ : نَقِيصَـــتُك المـــلالُ
فقـــال الـــوردُ : لســـتُ أزورُ إلّا علـــى شـــوقٍ كمـــا زارَ الخيـــالُ
وأنـــتَ تُـــدِيمُ تَثقـــيلاً طـــويلاً تَـــدوُمُ بـــه كمـــا رَسَـــتِ الجبـــالُ
فتشْـــأَمُكَ العيـــونُ لـــذاك بُغْضـــاً وتَرْقُبُنِـــي كمـــا رُقِـــبَ الهـــلالُ [1]

---

[*] انظر ترجمته في : الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، ص ٩١، والضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، ص ١٢٩، ترجمة رقم ٢٧٦،و ابن حزم، رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، د. ت ، جـ٢، ص ١٨٨، وابن الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص ٣٣١-٣٣٢، والثعالبي، يتيمة الدهر، جـ٢، ص ٢٦، وابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، تحقيق عبد الرحمن الحجي، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٣م ، ص ٥٤ وما بعدها ، و أبو بكر بن خير الإشبيلي ، فهرسة ما رواه عن شيوخه ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٩م ، ص ٣٦٦، ترجمة رقم ١١٣٩، وابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، جـ٢، ص ٢٤٠، والحميري، الروض المعطارفي خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة ، ط٢ ، ١٩٨٠م ، ص ٥٤٨ ، وابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، جـ٢، ص ١٠٧، وابن سعيد ، المغرب في حلي المغرب ، جـ١، ص ٢٠٨، والمقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، جـ٣، ص ١٧٨، والعمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، جـ٢٤، ص ٤٨١ وما بعدها، ومحمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس ،٦٣ الخلافة الأموية والدولة العامرية ، جـ٢، ص ٧٠١، وفؤاد سزكين ، تاريخ التراث العربي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٨٤م، ق٢، م٥، ص ٦٤، وعمر فروخ، تاريخ الأدب العربي ، دار العلم للملايين ، ط١ ، ١٩٨١م ، جـ٤، ص ٣٢٩، ومصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، جـ٣، ص ١٩٩، وشوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات الأندلس ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٩م ، ص ١٣٩، وإحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة ، بيروت، ط٤، ١٩٨٣م، ص ٤٨٤، وتاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة ، ص ٩٣، ١٠١، وأحمد عبد القادر صلاحية ، شعر ابن شخيص الأندلسي ، دار ابن القيم للطباعة والتوزيع والنشر ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٢م .

(1) المجموع ، القطعة رقم ١١ .

أدرك ابن شخيص الأندلسي الخليفة الحكم المستنصر بالله ولحق العامريين ومدح حجابهم [١] وفي ذلك يقول الدكتور إحسان عباس : "وقد كان من الشعراء البارزين أيام الحكم المستنصر يقوم في المناسبات العيدية والاستقبالية بقصائد المدح ... وشهد عهد المنصور بن أبي عامر ثم عهد ابنه المظفر وكان ممن يحضر مجلس هذا الثاني" [٢] .

وفي المصادر التي تحدثت عنه أخبار عن شخصيته منها ما ذكره صاحب الجذوة من أنه كان : " متصرفاً في القول، سالكاً في أساليب الجد والهزل، قال على لسان رجل يعرف بأبي الغوث أشعاراً مشهورة في أنواع من الهزل أغناه بها بعد فقره ، ورفعه بعد خمول "[٣]. وشخصية مثل هذه تتراوح بين الجد والهزل .

وذكر صاحب المقتبس أنه كان شاعر بلاط ، وله مدائح عديدة في خلفاء بني أمية ، ومنهم الخليفة الحكم المستنصر بالله الذي كان " حسن السيرة ، فاضلاً عادلاً ، مشغوفاً بالعلوم " [٤] ، وقد اختص بمدحه غير شاعر مثل : الحاجب المصحفي ، والمهند الشاعر ، وابن الطبني ، وابن عائذ ، وابن شخيص وفيه يقول :[البسيط]

وقـدْ خَرَقْـت بُطُـونَ الأرضِ عـن نُطَـفٍ	مـن أعـذبِ المـاءِ نحـوَ البيـتِ تُجْرِيهـا
طُهْـرُ الجُسـومِ إذا زالـتْ طهارتُهـا	رَيُّ القُلـوبِ إذا حـرَّتْ صَـوادِيها
قَرَنْـتَ فخـراً بـأجرٍ قـلَّ مـا اقْتَرَنـا	فـي أمَّـةٍ أنـتَ راعِيهـا وحامِيهـا[٥]

كان ابن شخيص الأندلسي معروفاً بالمدح ، وقد اختلف المؤرخون في تاريخ وفاته ، فذكر الحميدي ، والضبي ، وابن سعيد أنه " مات قبل الأربعمائة " [٦] .

- مكانته الأدبية :

نال ابن شخيص الأندلسي إعجاب الأدباء والعلماء من أهل العهد القرطبي ، ولعل أول إعجاب به كان من الحميدي إذ ذكر أنه "من أهل الأدب المشهورين، ومن أعيان الشعر المقدمين " [٧] ، ونقل عنه الضبي في بغيته [١] .

---

(١) انظر : ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، جـ٢، ص ٢٤٠ .
(٢) ابن الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، فهرس ص ٣٣٢ .
(٣) الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ص ٩١ .
(٤) ابن الآبار، الحلة السيراء، جـ١، ص ١٠١.
(٥) المجموع ، القطعة رقم ٢٦ .
(٦) الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ص ٩١ ، والضبي ، بغية الملتمس ، ص١٢٩ ، وابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، ج١ ، ص٢٠٨ .
(٧) الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ص ٩١ .

أما ابن حزم الأندلسي، فابن شخيص عنده : " فحل يهاب جانبه وحصان ممسوح الغرة "[٢]، وقال عنه ابن خير الأشبيلي : " شعر محمد بن مطرف بن شخيص في جده وإهزاله، حدثني به أبو عبد الله محمد بن معمر أيضاً عن أبي بكر محمد بن هشام المصحفي عن أبيه، قراءة عليه، عن ابن شخيص المذكور "[٣] .

ويثني عليه صاحب المغرب بقوله :"أحد من له البيت الرفيع والنظم البديع"[٤]، وأورد له صاحب التشبيهات مقطوعات عديدة في أوصاف مختلفة[٥].

وأعجب الدكتور فؤاد سيزكين به ووصفه بأنه " كان شاعراً نابهاً " [٦] ، وذكر الدكتور عمر فروخ أنه شاعر بلاط ، اتصل بالمنصور العامري ثم بابنه عبد الملك الملقب بالمظفر فيما بعد وكان يجالسه ويسامره [٧]، ويقول الأستاذ محمد عبد الله عنان : "كان من أهل الأدب البارع، ومن أعيان الشعراء المجيدين، كان متصرفاً في القول ، متقناً لأساليب الجد والهزل"[٨] .

- شعره وطريقته الفنية :

تذكر كتب الأدب والتراجم أن " شعره كثير مشهور " [٩] ، ولكن - للأسف - لم يصلنا منه إلا القليل اجتهد الدكتور أحمد عبد القادر صلاحية في حصره وجمعه من كتب الأدب والتراجم ، تحت عنوان " شعر ابن شخيص الأندلسي " وقد تجمع لدى سيادته بعد البحث والاستقصاء من شعره قرابة " ٣٢٤ " بيتاً .

والأغراض الشعرية التي طرقها ابن شخيص الأندلسي متنوعة ما بين المدح ، والوصف ، والغزل ، والهجاء ، وما بقى من شعره أغلبه قصائد ومقطوعات ، وهو ما أشار إليه الدكتور عمر فروخ بقوله :

---

(١) الضبي ، بغية الملتمس ، ص١٢٩ .
(٢) ابن حزم، رسائل ابن حزم، جـ٢، ص ١٨٨ .
(٣) ابن خير، فهرسة ابن خير الأشبيلي، ص ٣٦٦، ترجمة رقم ١١٣٩ .
(٤) ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، جـ١، ص ٢٠٨ .
(٥) انظر : ابن الكناني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص ٥٢، ٧٣، ٢٢٥، ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٨١ وغيرها .
(٦) فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، ج٢ ، ص٦٤ .
(٧) عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي ، ج٤ ، ص٣٢٩ .
(٨) محمد عبد الله عنان، الخلافة الأموية والدولة العامرية، جـ٢، ص ٧٠١-٧٠٢ .
(٩) الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ص ٩١ .

"ولابن شخيص قصائد ومقطوعات وفنونه : الوصف والغزل والمدح والهجاء وربما نحا نحواً بدوياً ونحواً سوقياً في هجائه"[١].

وثمة إشارة تدل على سعة شعره وطول نفسه فيه [٢] ، فقد أورد له صاحب المقتبس قصائد متنوعة في فن المدح يخلل بعضها بما يدل على حذف أجزاء منها وعلى أنها كانت أطول مما أوردها له ، فهي أبيات مجتزأة من قصائد طوال[٣].

وهذه الأشعار التي سقطت مع ما سقط من كتاب " المقتبس " تدل على أن الرجل شعره كثير ، ولو بقيت هذه الأشعار لكان من المحتمل أن تزودنا بما نفتقده من معلومات عن شعره .

امتدح ابن شخيص الأندلسي الخليفة الحكم المستنصر بالله بصفة التقوى ، وهذه الصفة استخدمها الشعراء بكثرة في مدائحهم ، والمتتبع لسيرة الخليفة الحكم يلحظ أنه اتخذ " المؤدبين يعلمون أولاد الضعفاء والمساكين القرآن حوالي المسجد الجامع وبكل ربض من أرباض قرطبة وأجرى عليهم المرتبات وعهد إليهم في الاجتهاد والنصح ابتغاء وجه الله العظيم . وعدد هذه المكاتب سبعة وعشرون مكتباً منها حوالي المسجد الجامع ثلاثة وباقيها في كل ربض من أرباض المدينة ، وفي ذلك يقول شاعرنا :[البسيط]

وسَـــاحةُ المســـجِدِ الأعلَـــى مُكلَّلـــةٌ مَكَاتِبـــاً لليتَـــامى مـــن نَواحِيهـــا
لَـــو مُكّنـــتْ سُـــورُ القُـــرآنِ مـــن كلـــمٍ نادتْـــكَ يَـــا خيـــرَ تَالِيهـــا ووَاعِيهـــا [٤]

ونقع في مدائحه على بعض الصور الرائعة مثل المزج بين المدح والوصف ، ومن قبيل ذلك قوله يصف مدينة الزهراء ، تلك المدينة الملوكية التي بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر :[البسيط]

(١) عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، جـ٤، ص ٣٢٩ .
(٢) انظر : أحمد عبد القادر صلاحية ، شعر ابن شخيص الأندلسي ، ص٢٣ .
(٣) انظر : ابن حيان ، المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، ص٥٤ ، ٥٩ ، ٨٥ ، ٩٥ ، ١٢١ ، ١٣٧ ، ١٥٨ ، ٢٣١ .
(٤) المجموع ، القطعة رقم ٢٧ .

هــذي مبــاني أميــر المــؤمنينَ غــدتْ يُــزري بهــا آخــرُ الــدنيا علــى الأولِ
كــذا الــدراري وجَــدْنا الشــمسَ أعظمَهــا قَـدْراً وإن قصُـرتْ فـي العلـوِ عـن زُحـلِ
لقــد جــلا مصــنعُ الزهــراءِ عــن أثَــرٍ مُوحَّــدِ القَــدْرِ عــن مِثْــلٍ وعــن مَثَــلِ
فاقــتْ محاســنُها مجهــودَ واصِــفها فــالقولُ كالسَّــكتِ والإيجــازُ كالخطــلِ
بــل فضــلُها فــي مبــاني الأرضِ أجْمَعِهَــا كفضــلِ دولــةِ بانيهــا علــى الــدوَلِ
كــادت قِسِــيُّ الحنايــا أن تُضــارِعَها أهلــةُ السَّــعدِ لــولا وصــمةُ الأقَــلِ
تألَّقــتْ فغــدا نقصــانُها كَمَــلاً وربمــا تــنقُصُ الأشــياءُ بالكَمَــلِ (١)

ويرسم ابن شخيص الأندلسي لوحة للسحاب مشبهاً إياه بركب من حجيج صف في قافلة ، ويلجأ إلى العلويات في صورته حيث صور صوت الرعد والبرق بأصوات الحجيج حين يرمون الجمرات ، يقول :[الخفيف]

فكــأنَّ الســحابَ فــي الأُفــقِ رَكــبٌ زمَّ أحداجَــهُ وصَــفَّ قِطــارَهْ
يُــذْكِرُ الغيــثُ والرعــودُ حجيجــاً عــجّ أصــواتَهُ وبَــثَّ جِمَــارَهْ (٢)

وتلفتنا هذه اللوحة التي يرسمها للورد فيشبه قطرات الندى الساقطة عليه بدمع يتحدر على الخدود ، وقد جعل الأقحوان ثغراً باسماً للعذارى ، يقول :[الطويل]

كــأنَّ انْتثــارَ الطــلِّ فــي الــوردِ أَدْمُــعٌ تَبَــدَّى علــى زهْــرِ الخــدودِ انتثارُهــا
كــأنَّ جنــيَّ الأُقحــوانِ بروضِــها ثغــورُ العــذارى حــينَ راقَ اثّغَارُهــا (٣)

وفي سياق شعره الغزلي يصف ابن شخيص الأندلسي ما يلاقيه من عذابات الحب وصد المحبوب ، وخضوعه لمعشوقته ، وكيف أنه اتخذ من الطيف وسيلة للتخفيف من حدة ما يشعر به من حرمان ، ويتمنى أن يزوره ليرى ما هو عليه من سوء حال ، لذا نجده يوصي نفسه بالصبر ، يقول :[الطويل]

(١) المجموع ، القطعة رقم ١٧ .
(٢) المجموع ، القطعة رقم ٧ .
(٣) المجموع ، القطعة رقم ٦ .

ومُعْتَلَّـــةِ الأجفـــانِ مـــا زلـــتُ مشـــفقاً عليهـــا ولكنّـــي أَلـــذُّ اعتلالَهـــا
جفـــونٌ أجـــالَ الحســـنُ فـــيهنَّ فتـــرةً فحـــلَّ عُـــرَى الآجـــالِ منـــذُ أجالَهـــا
هـــل مـــن شـــفيعٍ عنـــدَ ليلـــى إلـــى الكـــرى لعلّـــي إذا مـــا نمـــتُ ألقَـــى خيالَهـــا
يقولـــونَ لـــي صـــبراً علـــى مطـــلِ وَعْـــدِهَا ومـــا وعـــدتْ ليلـــى فأشـــكو مطالَهـــا
ومَـــا كَـــانَ ذَنبِـــي غيـــرَ حفظـــي عُهودِهَـــا وطـــيِّ هواهـــا واحتمـــالي دلالَهـــا [١]

ونراه في أخرى يتحدث عن العتاب ويبدي رغبته الشديدة في وصال محبوبته وإرضائها ، مهما كان العذاب أو المشقة ، وهو يطلب منها أن تسلك سبيل عروة بن حزام – من عشاق بني عذرة – لعله يجد إلى حبها سبيل ، يقول : [الخفيف]

كـــانَ فـــي كثـــرةِ العتـــابِ دليـــلُ لـــيْ علـــى أنَّ مَـــنْ هويْـــتُ مَلـــولُ
مَـــنْ نـــوى جفـــوةً تقـــوَّل فـــي الـــح ـبِّ علـــى مَـــنْ يحبُّـــه مـــا يقـــولُ
فـــاقطعي الوصـــلَ أو صـــلي فبقـــائي مـــع طـــولِ العتـــابِ منـــكِ قليـــلُ
واســـلكي بـــي ســـبيلَ عـــروةَ إنْ لـــمْ يتَّجِـــهْ لـــي إلـــى رضـــاكِ ســـبيلُ[٢]

وفي شعره ما يصور روح الفكاهة والدعابة ، فقد ذكر أنه هجا أصحاب اللحى الذين كانوا يتركونها أحياناً تتكثف وتتطول غير مهتمين بها فظهروا بها بمظهر غير لائق تشمئز منه أصحاب النفوس الكلفة بالجمال ، وتتأذى به العيون التي تنشد التناسق والتآلف في كل شيئ ، وهي لوحة لا تخلو من طلب الصورة والإلحاح عليها ، ويعتمد فيها على عنصر الطرافة والإغراب ، يقول :[الخفيف]

حـــدَّثوا عنـــكَ قـــد خضـــبْتَ فألبســـتَ السِّـــبال التلـــوينَ والتحنيـــا
إنَّ للنُّغـــرِ حولَـــهُ كـــلَّ صـــبحٍ جولـــةً إذْ تخالُـــهُ عُرْجونـــا[٣]

وغير بعيد عن هذا قوله مصوراً تهالك أحد الطفليين على الطعام وحنينه إليه حنين المجوس إلى النيران ، ويلمح إلى شدة شرهه من خلال لقمات الطعام التي تبدو على غير المعتاد ، يقول :[الخفيف]

أنَـــا بالأكـــلِ مســـتهامٌ ورأيـــي فيـــه رأيُ المجـــوسِ فـــي النيـــرانِ
وإذا مـــا انقضـــى صـــنيعُ ولـــم أُدْ عَ إليـــه فـــي جملـــةِ الجيـــرانِ

(١) المجموع ، القطعة رقم ١٤ .
(٢) المجموع ، القطعة رقم ١٢ .
(٣) المجموع ، القطعة رقم ٢٢ . سبل فلان : طالت لحيته على صدره. التحنين : الخضاب بالحناء. النغر : فراخ العصافير. العرجون : عذق النخلة أو إذا يبس واعوج أو أصله الذي يعوج وتقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابساً.

عَرضـــتْ لـــي وســـاوسٌ لـــو أصـــابتْ قلـــبَ غيـــري لشُـــدَّ فـــي الأكفـــانِ
ولـــو أنـــي شـــهدتُهُ كـــانَ عنـــدِي كشـــهودِي لبيعـــةِ الرضـــوانِ [١]

ونراه في أخرى يصف الطفليين والأكلة الذين يفرضون أنفسهم على موائد الآخرين دون سابق دعوة ، وإذا ما وضع الطعام وحضره الأكلة تساقطوا عليه فيلتهمونه إلتهاماً ، فيحرك شهوة الأكل في نفسه ، يقول واصفاً المأكولات المتنوعة :[الخفيف]

إنَّ حســـنَ الريـــاضِ صـــاغَ لهـــا الـــظ لُّ بـــروداً مـــن ناضـــرِ الأقحـــوانِ
مـــن مجـــالِ الأكـــفِّ فـــي ســـفرةٍ تـــح وي صـــنوفَ الحيتـــانِ والخرفـــانِ
وكـــأنَّ الثريـــدَ والحمـــصَ المـــن ثـــورَ تـــاجٌ مُكلَّـــلٌ بجمـــانِ
وتخـــالُ الزيتـــونَ فـــي قطـــعِ الـــص يـــنِ صُـــدوراً نُقطْـــنَ بـــالخيلانِ [٢]

ومن العيوب الأخلاقية التي تناولها ابن شخيص الأندلسي في هذا الاتجاه ، صفة البخل والبخلاء إحدى الصفات التي تناولها الشعراء في قصائدهم ، ومن ذلك قوله معبراً عن خيبة أمله فيمن قصده أملاً في عطائه :[الخفيف]

قسْـــتَ بالشـــعرِ معشـــراً فـــإذا هُـــمْ صـــوَرُ الإنـــسِ فـــي طبـــاعِ الحميـــرِ
كلمـــا جئـــتُهمْ لأنشـــدَ شـــعري طَمَعـــاً مـــن نـــوالِهِمْ باليســـيرِ
فكـــأنّي وضـــعتُ فَلْكَـــةَ بُـــوقٍ فـــي فمـــي أو ضـــغطتُ أنبـــوبَ كيـــرِ [٣]

ومن صوره التي يتحقق فيها عنصر الطرافة والإغراب ، قوله يستهدي ورقاً أملساً من بعض رفقائه ، فكتب إليه :[الخفيف]

بـــي افْتقـــارٌ إلـــى اجـــتلا ورقٍ أملـــسَ كالمـــاءِ حبسُـــهُ فيـــهِ يَأسَـــنْ
فيحـــاكي ملاســـةً ونقـــاءً صـــفحاتِ الخصـــيِّ قبـــلَ التغضّـــنْ
بـــلَ تظـــنُّ العيـــونُ أنَّ أكفّـــاً لفَقـــتْ ســـطحَهُ مـــن أوراقِ سوســـنْ
ولعمـــرِيْ مـــا كـــانَ يُغفـــلُ وصْـــفِي ورقَ الـــوردِ لـــو خـــلا مِـــنْ تلـــوُّنْ [٤]

(١) المجموع ، القطعة رقم ٢٤ .
(٢) المجموع ، القطعة رقم ٢٣ .
(٣) المجموع ، القطعة رقم ٨ . الفلكة : كل مستدير كفلكة المغزل وسميت به لاستدارتها"وتكسر" .الكير: زق الحداد ينفخ فيه النار .
(٤) المجموع ، القطعة رقم ٢٥ .

وفي شعره ما يصور أمور حياته الشخصية ، ومنها حرصه الشديد على المال والجاه ، وكيف أنه وسيلة إلى حياة ناعمة بضة ، ويعبر عن ذلك بقوله في ختام إحدى قصائده المدحية :[الطويل]

سأثني على دنيايَ إذ ظفرتْ يدي بجاهٍ فكانَ الجاهُ للمالِ مُكسبا [١]

- اللغة الشعرية عند ابن شخيص الأندلسي :

لعل أبرز الملامح الأسلوبية تمثلاً في شعر ابن شخيص الأندلسي تتوزع على محاور منها الاقتباس :

ويتمثل المحور الأول في الاقتباس من أي الذكر الحكيم ، وقد تجسد تأثير النص القرآني لدى ابن شخيص الأندلسي في محور واحد وهو الإشارة إلى الآية القرآنية مع تسليط الضوء على جانبها الدلالي ، كما في قوله مهنئاً الخليفة الحكم المستنصر بالله :[الطويل]

ولما جَلاهُ البِشرُ غَيَّبَهُ السَّنَا كذلكَ قُرص الشمسِ بَادٍ مُغَيَّبُ

فيا حُسْنَ قَدْرِ الملْكِ يومَ طلوعِهِ لنا لو بَدَا من جانبِ الطُّورِ كوكبُ

ولا يَخْفَ مَنْ أعني وإن تسألوا به فإنَّ النبيَّ العمُّ والحَكَمَ الأبُ[٢]

حيث يشير ابن شخيص الأندلسي إلى الأية الكريمة الواردة في سورة القصص وهي قوله تعالى : " فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ " [٣] .

فالآية القرآنية السابقة أبرزت فكرة الشاعر التي يصبو إليها، الذي استطاع بمهارته وبلاغته الفنية أن يضعها في مكانها المناسب لها من السياق وأن يوظفها توظيفاً جيداً، مؤكداً على علو قدر ممدوحه وعظم هيبته في النفوس بمجرد طلعته المشرقة، وضعف العدو وكمال خضوعه وشدة خوفه من خليفته، ناهيك عن صورة وقوع سيدنا موسى – عليه السلام – مغشياً عليه، وعظم المولى – سبحانه وتعالى – حين تجلى على جبل الطور واندكاكه وكلها خيوط تآزرت لتشكيل الصورة التي أجاد ابن شخيص الأندلسي سبكها .

وفي قصيدته التي أنشدها الخليفة الحكم المستنصر بالله في عيد الأضحى المبارك عام ٣٦٠هـ ينتقل من مقدمتها إلى مدح الخليفة، فيشير إلى أهوال يوم القيامة كونها آية للعالمين لما تحمله في

---

(١) المجموع ، القطعة رقم ٣ .
(٢) المجموع ، القطعة رقم ١ .
(٣) سورة القصص ، آية ٢٩ .

طياتها من عبر وعظات وعجائب، فينطلق مصوراً مآل أهل الشرك من الروافض الخارجين على الخليفة، وما لحقهم من هلاك وما حاق بهم من دمار على يده، فيقول : [الطويل]

ورأي معـــدٍ جـــلَّ فـــي خلـــعِ جعفـــرٍ لإهـــلاكِ زيـــريٍ فـــأولى لـــهُ أولـــى
أُديـــرتْ بـــهِ كـــأسُ المنيّـــةِ بـــالمنى فـــأيُّ مـــذاقٍ مـــا أمـــرَّ ومـــا أحلـــى
أثـــرت لأشـــياعِ الـــروافِضِ والـــذي تريـــدُ لـــه شـــغلاً ســـيعدمها شـــغلا[١]

حيث يشير ابن شخيص الأندلسي إلى الأية الكريمة الواردة في سورة القيامة وهي قوله تعالى : " أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى " [٢] .

وفي معرض هجائه للأكلة والطفيليين الذين يفرضون أنفسهم على مؤائد الآخرين دون سابق دعوة، نراه يشير إلى بيعة الرضوان[٣]، ليؤكد على مدى شره هذا الإمامي فإنه لا يزور أصحابه شوقاً إلى لقياهم، بل لما يقدم له أثناء الزيارة من طعام، وإذا ما وضعت المائدة وحضرها هؤلاء الإماميون تساقطوا عليها كالذباب فيلتهمونه التهاماً، اسمعه يقول:[الخفيف]

أنَـــا بالأكـــلِ مســـتهامٌ ورأيـــي فيـــه رأيُ المجـــوسِ فـــي النيـــرانِ
وإذا مـــا انقضـــى صـــنيعُ ولـــم أُدْ عَ إليـــه فـــي جملـــةِ الجيـــرانِ
ولـــو أنـــي شـــهدتُهُ كـــانَ عنـــدِي كشـــهودِي لبيعـــةِ الرضـــوانِ [٤]

(١) المجموع ، القطعة رقم ١٣ .
(٢) سورة القيامة ، آية ٣٤ .
(٣) خرج النبي – صلى الله عليه وسلم – في آخر سنة ست معتمرًا لا يريد حربًا، واستنفر العرب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحربٍ أو يصدوه عن البيت، وساق معه الهدي وأحرم بالعمرة ليأمن القرشيون حربه، لكن قريشًا لما علمت بمقدمه خرجت للقائه، وبعثت مندوبين عنها، فأخبرهم الرسول بأنه قدم زائرًا للبيت، وعاد المندوبون إلى قريش فاتهمتهم وسفَّهتهم، فأراد النبي أن يبعث عمر بن الخطاب موفدًا عنه إلى قريش ليؤكد لهم أن المهاجرين والأنصار إنما قدموا زوَّارًا لا محاربين، فاعتذر عمر؛ لأنه خشي على نفسه من عدوان قريش عليه؛ إذ ليس بمكة من بني عدي أحد يحميه، وأشار على النبي أن يرسل عثمان بن عفان، فأرسله النبي، فاحتبسته قريش عندها، وعلم النبي بذلك فقال: لا نبرح حتى نناجز القوم، ودعا الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت، وعلى ألّا يفروا، ثم جاء الخبر إلى النبي أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل . انظر: ابن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، ج٢، ص٢٨٦، وابن الأثير، المثل السائر، ج١، ص٥٥
(٤) المجموع ، القطعة رقم ٢٤ .

حيث يشير ابن شخيص الأندلسي إلى الأية الكريمة الواردة في سورة الفتح وهي قوله تعالى : " لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا "[١] .

والمحور الثاني من محاور التأثير على المعجم الشعري لدى ابن شخيص الأندلسي يتمثل في الاقتباس من الحديث النبوي الشريف ، ومن ذلك قوله في مقطوعة يذكر فيها زهده وترفعه عن الدنيا الفانية، وتذكره للآخرة والعمل لها، وفعل الصالحات واجتناب المنكرات، والدعوة إلى الرحمة والتراحم بين الناس :[الطويل]

يقولونَ كم تدعو إلى غيرِ راحةٍ وما كلُّ منْ يشكُو إلى الناسِ يرحمُ
وددتُ بأنْ يرضى فإنْ جادَ بالرّضا تفكَّرَ في ذنبِ المحبِّ فيندمُ [٢]

وفي البيت إشارة إلى قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – : " من لا يرحم الناس لا يرحمه الله "[٣] .

ويتناغم ابن شخيص الأندلسي مع جمال الطبيعة بما حباها المولى – سبحانه وتعالى – من جداول منسابة بين أراضيها، وأنهار جارية، وجنات خضر، وثمار يانعة، ونواوير بديعة، مستوحياً فكرته من قول الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – : " إِذَا مَرَّ أَحَدُكُمْ بِحَائِطٍ فَلْيَأْكُلْ وَلَا يَتَّخِذْ ثِبَانًا "[٤]، ليؤكد على أن الفاكهة في الأندلس مباحة للنقل في الثبنة لكثرتها ووفرتها، فيقول : [الخفيف]

حفِظَ اللهُ بلدةً ما عداها بالُموالى من الحِباءِ الحبيُّ
تربةٌ لذْنةٌ وريحٌ بَليلٌ وطِلاعٌ طلْقٌ وجَوٌ عذيُّ
ثُمَّ ما شئتَ مِنْ رياضٍ جناها بُثِنيٌّ ونسجُها عبقريُّ[٥]

ويقول ابن شخيص الأندلسي موريا بأعلام رواة الحديث النبوي الشريف ، مصوراً خصال ممدوحه وسماته ، ومشيراً إلى المكانة العالية التي يحتلها الخليفة الحكم المستنصر بالله :[الطويل]

---

(١) سورة الفتح، آية ١٨ .
(٢) المجموع ، القطعة رقم ١٩ .
(٣) أبو الحسن مسلم النيسابوري ، صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٥٥م ، ج٤ ، ص١٨٠٩ .
(٤) نور الدين السندي ، كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجة ، دار الجيل ، بيروت ، ط٢ ، د . ت ، ج٢ ، ص٤٦ ، حديث رقم ٢٣٠١ .
(٥) المجموع ، القطعة رقم ٢٨ .

يقَيّـــدُ مـــن علـــم الحـــلالِ لمالـــكٍ روايـــةَ يحيـــى وابـــن وهْـــبٍ وأشْـــهبا
أمـــا إنَّـــهُ فـــي الخلـــقِ أكـــرمُ نثـــرةً لآلِ رســـولِ اللهِ أكـــرمُ مُجْتبـــى[١]

فمالك بن أنس، ويحيى المصمودي، وعبد الله بن وهب، وأشهب بن عبد العزيز من رواة الحديث النبوي الشريف، وقد ذكر ابن شخيص الأندلسي الرواية وصحيح الحديث والخبر، ومزج بين هؤلاء الرواة والمدح كـ" في الخلق أكرم "، و" وآل رسول الله "، و" أكرم مجتبى "، حيث يبث عنصر الحياة في تلك العناصر لتتجمع وتتآذر في بناء صورته الفنية .

ويتمثل المحور الثالث في الاقتباس من من التراث الشعري العربي ، وقد تنوعت مظاهر الأخذ من التراث الشعري لدى ابن شخيص الأندلسي ، فهو تارة يضمن أو يقتبس شعره شطراً من بيت لشاعر قديم ، وأحياناً يكتفي بالإشارة إلى معنى مشهور لشاعر سبقه ، ومن ذلك قوله :[الطويل]

لقـــدْ حـــلَّ بـــأسُ اللهِ بـــالكرمِ الـــذي غـــدا وهـــو فـــي حـــزبِ الضـــلالِ بلاقـــعُ
فلـــو حلَّـــهُ غـــيلانُ نـــادى طلولَـــهُ " هـلِ الأزمـنُ اللائـي مضـينَ رواجـعُ "[٢]

فإنه ينزع إلى طريقة أهل المشرق في استهلال القصيدة، من وقوف بالأطلال، وبكاء الديار، والدعاء لها بالسقيا، وهذا ما حدا بشاعرنا وهو من أهل الأندلس الذي لم يشهد الطلل في حياته، أن يصور وقوفه على أطلال محبوبته التي عفا عليها الدهر وحيداً كوقوف الشاعر المشرقي ذي الرمة على ديار محبوبته مي حين ارتحلت عنها، وفي ذلك" تقديس الأندلسيين لكل ما هو مشرقي، وهذا أمر يكاد يلمسه كل مطلع على تاريخهم، فلقد تغالوا في إجلال المشرق، حتى كانوا ينظرون إليه نظرة الابن إلى أبيه .... وأقصى ما يطمح إليه الشاعر الأندلسي هو أن يلقب باسم شاعر مشرقي مشهور أو أن يقال: إنه شبيه بمعاصره المشرقي"[٣]، فعجز البيت الأخير من قول شاعرنا مقتبس من قول ذي الرمة الذي يقول فيه :[الطويل]

أَمنزِلَتـــــيْ مَـــــيّ ســـــلامٌ عَلَيْكُمَـــــا " هـلِ الأزمـنُ اللائـي مضـينَ رواجـعُ " [٤]

ومن أمثلة التضمين الذي ورد ذكره لدى ابن شخيص الأندلسي ، قوله في معرض وصفه لقلعة حجر النسر، وذلك عندما أبدع شاعرنا في إغلاق المنافذ أمام الهارب الحسن بن فنون زعيم الأدارسة

(١) المجموع ، القطعة رقم ٣ .
(٢) المجموع ، القطعة رقم ٩ .
(٣) كامل كيلاني، نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي، المكتبة التجارية، القاهرة، ط١، ١٩٢٤م، ص١٢١ .
(٤) ذو الرمة ، ديوان ذي الرمة ، تحقيق أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٩٩٥م ، ص٢٩٤ .

[١] من ممدوحه، فقد ضيق عليه الخناق وأي جهة أرادها من الأرض ضم ممدوحه أنامله عليها فأحكم قبضته، فإلى أين المفر، إذ كان في يديه الأمن والأمان :[الطويل]

وما حَجَرُ النسرِ[٢] المنيعُ بزعمهِ منيعٌ وهل حصنٌ من اللهِ مانعُ
فلو طارَ فوقَ الأرضِ أو غارَ تحتَها لما خالَ أنَّ المنتأى عنكَ واسعُ
وما يضعُ الإدبارُ مَنْ أنتَ رافعُ ولا يرفعُ الإقبالُ من أنتَ واضعُ[٣]

فعجز البيت الثاني مضمن من قول النابغة الذبياني الذي يقول فيه :[الطويل]

فإنَّكَ كاللَّيلِ الذِي هُوَ مُدْرِكِي وإنْ خِلْتُ أنَّ المُنتَأى عَنْكَ وَاسِعُ [٤]

ووصف ابن شخيص الأندلسي الزهراء تلك المدينة الملوكية التي بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر، فعدد لنا محاسنها من نوريات نضرة، ومياه جارية، وأشجار وارفة، وأخذ يجلي كل ما وقعت عليه عيناه ماثلاً في مظاهر البناء الخارجي، فجعل قدر هذه المدينة الملوكية كقدر الشمس بين كواكبها، وهي أفضل مباني الأرض قاطبة، اسمعه يقول :[البسيط]

لقد جلا مصنعُ الزهراءِ عن أَثَرٍ مُوحَّدِ القَدْرِ عن مِثْلٍ وعن مَثَلِ
فاقتْ محاسنُها مجهودَ واصِفها فالقولُ كالسَّكتِ والإيجازُ كالخطلِ
بل فضلُها في مباني الأرضِ أجْمَعِهَا كفضلِ دولةِ بانيها على الدوَلِ
أو قَدَّ من صفحاتِ الجوِّ يومَ صفا ورقَّ من أجلِ كونِ الشمسِ في الحملِ[٥]

---

(١) هو" الحسن بن قنون بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن القاسم بن إدريس بن إدريس، القائم بالمغرب، وبنوه.ومنهم: الحسن الحجام بن محمد بن القاسم بن إدريس بن إدريس، سمى الحجام لكثرة سفكه للدماء؛ ومن ولده: القاسم بن محمد بن الحسن، الفقيه الشافعي بالقيروان، المعروف بابن بنت الزبيري. ومنهم: يحيى ومحمد ابنا إبراهيم بن يحيى بن محمد بن يحيى الحوطي بن القاسم بن إدريس بن إدريس، له عقب بفاس. ومنهم: إبراهيم بن القاسم بن إدريس بن إدريس، صاحب البصرة؛ وكان عمر بن حفصون يخطب له؛ وإبراهيم بن عبد الملك بن جعفر ابن إدريس بن إدريس؛ وأبو بكر وعمر ابنا محمد بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن إدريس بن إدريس " .ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م،ص٥٠.

(٢) كَانَت قلعة حجر النسْر حصنا منيعا بناه مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن الْقَاسِم بن إِدْرِيس شامخا فِي عنان السَّحَاب في قمة جبل الحبيب في أرض المغرب الأقصى . السلاوي ، الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى ، ج١ ، ص٢٤١ .

(٣) المجموع ، القطعة رقم ٩ .

(٤) مصطفى السقا، مختار الشعر الجاهلي، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط٤، ١٩٧١م، ص١٥٨ .

(٥) المجموع ، القطعة رقم ١٧ .

فعجز البيت الأخير مضمن من قول أبي نواس الذي يقول فيه :[البسيط]

أَمَـــا تَـــرىَ الشّـــمسَ حَلّـــتِ الحَمَـــلا وقـــامَ وزنُ الشّـــمسِ واعْتَـــدَلا [١]

ويتمثل المحور الرابع في استدعاء الأعلام والأماكن ذات الصبغة التراثية محوراً ثراً نهل منه ابن شخيص الأندلسي ، فاعتمد عليه في بناء قصيدته وتشكيل إطارها اللغوي ، ومن بين الشخصيات التراثية التي نالت قدراً كبيراً من اهتمام ابن شخيص الأندلسي غيلان[٢]– الشاعر في الحب – فقد وجد ابن شخيص السلوى في سيرته ، وقد سامه مضض الهوى ، يقول :[الطويل]

فلـــو حلَّـــهُ غـــيلانُ نـــادى طلولَـــهُ " هـلِ الأزمـنُ اللائـي مضـينَ رواجـعُ " [٣]

وقوله كذلك مادحاً الخليفة الحكم المستنصر بالله يجعله نداً ونظيراً لسحبان الوائلي[٤] الذي عرف بالفصاحة والخطابة ، يقول :[الخفيف]

حـــرْتُ فـــي وصـــفِهِ علـــى أنَّ قلبـــي أحـــــوذي ومقـــــولي صـــــيرفيُّ

ولعمـــــري لـــــو أنَّ سَـــــحْبانَ أنحـــــى لعـــــلاهُ لَعَـــابَ ســـحبانَ عـــيُّ [٥]

ويستعين ابن شخيص الأندلسي بشخصية القاضي إياس بن معاوية[٦] وهو الذي يضرب به المثل في الفطنة والذكاء في معرض مدحه للخليفة الحكم المستنصر بالله ، فيقول : [الخفيف]

أَقْصـــــــدَتْهُ آراؤك الغُـــــــرُّ مـــــــا تقصـــدُ مـــن نافـــذِ الســـهامِ القســـيُّ

---

(١) أبو نواس ، ديوان أبي نواس ، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي ، دار الكاتب العربي ، بيروت ، ١٩٨٤م ، ص٦٣ .

(٢) ذو الرمة : غيلان بن عقبة بن مسعود أو نهيس بن الحارث بن عمرو المضري. والرمة : الحبل . من فحول الشعراء في عصر بني أمية ، كان يشبب النساء مقلدا في ذلك الشعراء الجاهلين . توفي سنة سبع عشرة ومائة. انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٥، ص٢٦٧، وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٩، ص٣١٩، والزركلي ،الأعلام ،ج ٥ ، ص١٢٤ .

(٣) المجموع ، القطعة رقم ٩ .

(٤) هو سحبان بن زفر بن إياس الوائلى، من باهلة، خطيب يضرب به المثل في البيان فيقال: "أخطب من سحبان"، "أفصح من سحبان" اشتهر في الجاهلية وعاش زمنًا في الإسلام، وكان إذا خطب يسيل عرقًا، ولا يعيد كلمة، ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ، وأسلم في زمن النبي – صلى الله عليه وسلم – ولم يجتمع به، وأقام في دمشق أيام معاوية بن أبي سفيان، وله شعر قليل وأخبار، توفي سنة ٥٤ هـ " . انظر : الزركلي ، الأعلام جـ٣ ، ص ٧٩.

(٥) المجموع ، القطعة رقم ٢٨ .

(٦) إياس بن معاوية بن قرّة المزني ، أبو واثلة قاضي البصرة ، أحد أعاجيب الدهر في الذكاء والفطنة ، يضرب بذكائه المثل، قال الجاحظ : إياس من مفاخر مضر، ومن مقدمي القضاة ، كان عجيب الفراسة وجيها عند الخلفاء، توفي بواسط سنة ١٢٢ هـ.
ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج١ ، ص٨١، والجاحظ ، البيان والتبيين ، ج١ ، ص٥٦ .

إن لـــي فـــي القضـــاء بـــالزكن صـــدقاً لـــم ينلـــه إياســـنا المزنـــيُّ[١]

وفي التعبير عن حنين العشق والهوى وترنمه بين أضلاعه ، يستعين ابن شخيص الأندلسي بأحد أئمة الغزل العذري[٢] في معرض عتابه لمحبوبته ، فيقول :[الخفيف]

فـــاقطعي الوصـــلَ أو صـــلي فبقـــائي مـــع طـــولِ العتـــابِ منـــكِ قليـــلُ
واســـلكي بـــي ســـبيلَ عـــروةَ إنْ لـــمْ يتَّجِـــهْ لـــي إلـــى رضـــاكِ ســـبيلُ[٣]

ويأنس ابن شخيص الأندلسي في أشعاره بذكر بلقيس ملكة سبأ[٤] في معرض مدحه للخليفة الحكم المستنصر بالله ، يقول :[الطويل]

هـــواجسُ أوطـــارٍ أنـــا بـــينَ موجهـــا كـــذي البحـــرِ إذ حـــطَّ الشّـــراعَ فسَـــيَّبا
أمـــا والـــذي أخـــذي المطيـــعَ لملكِـــهِ فـــأذكرَ فـــي بغـــدادَ بلقـــيسَ فـــي ســـبا[٥]

ومن المواضع التي نالت شهرة عند المشرقيين واتخذها ابن شخيص الأندلسي " منى " ، وذكرها مقرونة بالجمار والأضاحي[٦]التي اشتهرت بها ، يقول :[الطويل]

---

(١) المجموع ، القطعة رقم ٢٨ .
(٢) وهو" عُرْوَةُ بْنُ حِزَامٍ، أَبُو سَعِيدٍ الْعُذْرِيُّ، كَانَ شَاعِرًا مُغْرَمًا فِي ابْنَةِ عَمٍّ لَهُ، وَهِيَ عَفْرَاءُ بِنْتُ مُهَاجِرٍ، يَقُولُ فِيهَا الشِّعْرَ، وَاشْتُهِرَ بِحُبِّهَا فَارْتَحَلَ أَهْلُهَا مِنَ الْحِجَازِ إِلَى الشَّامِ، فَتَبِعَهُمْ عُرْوَةُ فَخَطَبَهَا إِلَى عَمِّهِ فَامْتَنَعَ مِنْ تَزْوِيجِهِ لِفَقْرِهِ، وَزَوَّجَهَا بِابْنِ عَمِّهَا الْآخَرِ، فَهَلَكَ عُرْوَةُ هَذَا فِي مَحَبَّتِهَا، وَهُوَ مَذْكُورٌ فِي كِتَابِ " مُصَارِعِ الْعُشَّاقِ " . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ط هجر ، ج١٠ ، ص٤٠٤ .
(٣) المجموع ، القطعة رقم ١٢ .
(٤) مملكة سبأ " قامت سبأ على أنقاض معين وقتبان. وانضمت لها حضرموت، وكانت عاصمتها مأرب، وترجع شهرة سبأ إلى سببين هامين هما:-
أ – ملكة سبأ (بلقيس) وقصتها مع النبي سليمان (سورة النمل).
ب – سد مأرب العظيم الذي كانت نتيجته أن كثر الرخاء باليمن وعمت الخيرات. ثم ضعف هذا السد وانهار أخيراً. فكان سيل العرم. فهاجر كثير من السكان إلى الشمال، وآذن ذلك بسقوط سبأ، وقيام حمير.
قال تعالى: " لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ" . سورة سبأ، الآية " ١٥، ١٦" . أحمد معمور العسيري، موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام " تاريخ ما قبل الإسلام " إلى عصرنا الحاضر، مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، الرياض، ط١، ١٩٩٦م، ص٤٢ .
(٥) المجموع ، القطعة رقم ٣ .
(٦) أيام التشريق الثلاثة التي بعد العيد –وهي الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من شهر ذي الحجة– فهذه –أيضاً– لا يجوز صومها، وهي أيام أكل وشرب، وتسمى أيام منى، وثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال: (أيام منى أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل) ، والأكل والشرب ينافي أن يكون هناك صيام؛ لأنه يقلل من التمتع بنعم الله تعالى وبرزقه، فناسب أن الحجاج وكذلك غيرهم من المقيمين يفطرون في أيام التشريق، ولأنهم

أظـــنُّ جِنَـــان الخُلْـــدِ جُنَّـــتْ صَـــبابةً إليـــه فـــدَارَتْ حـــينَ طـــالَ انتظارُهـــا
إذا ابتهـــلَ الحُجَّـــاجُ بالشِّـــعبِ مـــن منـــىً وقـد حـانَ عـن رمـيِ الجمـارِ انحـدارُها[1]

ويعرج ابن شخيص الأندلسي في شعره على ذكر معركة مرج راهط[2]، تلك المعركة التي دارت غمارها في غوطة دمشق بين مروان بن الحكم والضحك بن قيس وانتهت بفوز مروان وقد استقام الأمر له ، يقول :[الطويل]

وقـــامَ بهـــا أَدَّى عـــن اللهِ أحمـــدُ فتـــابعَ تبصـــيراً لمـــنْ لـــمْ يتـــابعِ
وقـــد زمَّهـــا مـــروانُ مـــن يـــومِ راهـــطٍ بـــرأيٍ لأهـــواءِ الجماعـــةِ جـــامعِ[3]

من كل ما سبق يتبين لنا مدى تأثر ابن شخيص الأندلسي بمعاني القرآن الكريم وأساليبه القوية ، والحديث النبوي الشريف ، والتراث الشعري العربي ، والأعلام والأماكن ذات الصبغة التراثية ، يقتبس منهم بطريق مباشر أو غير مباشر ، وقد حاز السبق في هذا المنحى الأسلوبي ، إذ كان ابن شخيص الأندلسي يجد في الاقتباس قمة البلاغة والبيان ، فاتجه إلى نهج هذا الطريق في شعره بمختلف موضوعاته المختلفة .

ومن الظواهر اللغوية في شعر ابن شخيص الأندلسي استعمال الأسلوب الذي يتميز برصانة اللغة والابتعاد عن الغريب أو الغامض من الألفاظ في الوقت نفسه .

ويفزع ابن شخيص الأندلسي إلى المعجم اللغوي القديم في شعره، رغبة منه في امتلاكه لناصية اللغة أو استعراض ثقافته اللغوية المتنوعة، أو إرضاء للسلطة الحاكمة وإثباتاً لعروبتهم المتأصلة في التاريخ الإسلامي على مدار العصور، والتي تعد أساساً لتوليهم الحكم، مما يستوجب على المتتبع لشعره فتح المعجم أو القاموس، لفهم بعض كلمات الأشعار وألفاظ القصائد التي تصعب على الأفهام، وتبعد عن ذوق ذلك العهد الحضاري ولغته الشعرية، كما في قوله مادحاً الخليفة الحكم المستنصر بالله: [الطويل]

فَـــلَا فَتِئَـــتْ مَـــرْوَانَ تَجـــرِي مُلُوكُهَـــا مَجَـــارِى الـــدَّرارِي طَالِعَـــاً إِثْـــرَ آفِـــلِ
هُـــمُ أُســـوَةُ الْأَمْجَـــادِ لَـــوْ سَـــمَاحُهُم لِمَـــا اهْتَـــزَّ مَـــأْمُولٌ لِإِسْـــعَافِ آمـــلِ
هُـــمُ كَســـرُوا حَـــدَّ الْمُلُـــوكِ وَقَلَّمَـــا يُفَـــلُّ الْحَصَـــى بِصُـــمِّ الْجَنَـــادِلِ

في تلك الأيام غالباً يذبحون، ولا يزال عندهم بقية من لحوم الأضاحي، فناسب أنهم يأكلون منها ولا يصومون " ابن جبرين، شرح عمدة الأحكام، ج٧، ص٣٢ .

(١) المجموع ، القطعة رقم ٥ .

(٢) وقعة مرج راهط سنة أربع وستين كانت بين مروان بين الحكم وبين الضحاك بن قيس الفهرى بالقرب من دمشق. انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢١ .

(٣) المجموع ، القطعة رقم ١٧ .

شُـــغلْتَ مِـــنَ الـــدُّنيَا بِتَـــأْمِيْنِ سُـــبُلِهَا فَـــلاَ فَـــارقَ الْمَشْـــغُولَ حَفْـــزُ الشَّـــوَاغِلِ[١]

فالألفاظ "الدراري، آفل، أسوة الأمجاد، يفل الحصى، الجنادل، تأمين سبلها، حفز الشواغل"، من الألفاظ القوية الجزلة المحببة لنفس الممدوح، وهي مناسبة للغرض الشعري الذي قصد إليه الشاعر، وقد أجاد ابن شخيص الأندلسي سبكها مع صويحباتها في ثنائية دالة على صفات المدح ومعانيه، فلعبت دوراً بالغ الأهمية في تقرير المعنى وتوضيحه .

ويستخدم ابن شخيص الأندلسي الألفاظ الفصيحة الجزلة في معرض وصفه بعض معارك الخليفة الحكم المستنصر بالله، يقول:[الطويل]

أَتَـــاهُ لِعـــزِّ الـــنَّفْسِ أَوَّلَ رَاكِـــضٍ فَكَـــانَ لِكَـــأْسِ الْحَتْـــفِ أَوَّلَ جَـــارِعِ
وَلاَ جَـــيْشَ إِلّا الصَّـــبْرُ وَالـــدَّعْوَةُ الَّتِـــي وَقَـــى اللهُ رَاعِيهَـــا عثَـــارَ الْوَقَـــائِعِ
إِذَا الْحُـــرُّ لَـــمْ يَجْعَـــلْ مِـــنَ الصَّـــبْرِ دِرْعَـــهُ وَإِنْ لَـــمْ يُـــوقَّ الْمَـــوْتَ جَفْـــنَ الْمَـــدَامِعِ
فَمَـــا الصَّـــارِمُ الْمَاضِـــي بِمَـــاضٍ وَلاَ الْحِمَـــى بِحَـــامٍ وَلاَ الْحِصْـــنُ الْمَنِيْـــعُ بِمَـــانِعِ
وَكُـــلّ حَـــوَى حِفْظَـــاً وَفَـــرَّ بِدِيْنِـــهِ فَـــرَارَ عَزِيـــزٍ لِلأَعـــزةِ خَاضِـــعِ[٢]

فألفاظ هذه الأبيات أغلبها ألفاظ حربية، وهي تتماشى مع الجو العام للقصيدة والتجربة الشعرية التي خاض الشاعر غمارها، ومن طبيعة الحروب والمعارك القوة، والشدة، والعنف، وتلمع فيها السيوف، ويتطاير فيها الغبار الكثيف حتى يأذن الله للمسلمين بفتح هذه المعاقل المنيعة فيحولونها من بيع وكنائس إلى مساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً .

ومن تلك الألفاظ الجزلة القوية الجرس قوله في معرض وصفه المدينة الملوكية الرزاهرة، فيقول: [الطويل]

وَلَمَّـــا امْتَـــرَى فِـــي جَنَّـــةِ الْخُلْـــدِ بَعْضُـــهُم أَقَـــامَ لِأَبصَـــارِ الْجَمِيْـــعِ مثَالَهَـــا
فَلِلْعَـــيْنِ أَنـــوَارُ الْبَسَـــاتِيْنِ حَوْلَهَـــا وَلِلسّـــمْعِ تَفْجِيْـــرُ الْمِيَـــاهِ خِلاَلَهَـــا
كَـــأَنَّ يَوَاقِيتَـــا أُذِيبَـــتْ فَأُشْـــرِبَتْ سُـــطُوحُ الْمَبَـــانِي صِـــبْغَهَا وَصـــقَالَهَا
كَـــأَنَّ حَنَايَاهَـــا الْأَهِلَّـــةُ وَافقـــتْ سُـــعُودَ الْمَجَـــارِى فَاســـتردَّتْ كَمَالَهَـــا[٣]

لقد مال ابن شخيص الأندلسي إلى سهولة الألفاظ ورقتها، بل إلى بساطتها في بعض الأغراض الشعرية التي تحدث عنها وتتصل فيها النفس الإنسانية التي تتلمس العطايا والمنح، وتنطلق من أسر

(١) المجموع ، القطعة رقم ١٧ .
(٢) المجموع ، القطعة رقم ١٠ .
(٣) المجموع ، القطعة رقم ١٥، امترى: شك، مثالها: صورتها، أنوار: أزهار، الحنايا: الأقواس .

استعراض الثقافات اللغوية المتنوعة، وذلك لأن"من كان غليظ الطبع جاءت ألفاظه جاسية قوية منسجمة مع طبيعة تركيبه النفسي، ومن كان لين العريكة رقيقاً جاءت ألفاظه كذلك سلسلة رقيقة لينة"[١] .

ويقول ابن شخيص الأندلسي معبراً عن خيبة أمله فيمن قصدهم أملاً في عطائهم: [الخفيف]

قسْـــتَ بالشـــعرِ معشـــراً فـــإذا هُـــمْ صـــوَرُ الإنـــسِ فـــي طبـــاعِ الحميـــرِ
كلمـــــا جئـــــتُهمْ لأنشـــــدَ شـــــعري طَمَعـــــاً مـــــن نـــــوالِهِمْ باليســـــيرِ
فكـــــأنّي وضـــــعتُ فَلْكَـــــةَ بُـــــوقٍ فـــي فمـــي أو ضـــغطتُ أنبـــوبَ كيـــرِ[٢]

إن القارئ لشعر ابن شخيص الأندلسي سوف يلمس الرقة التي تميزت بها ألفاظه، واتسمت بها عباراته، وقد وقف النقاد العرب القدمى عند اللفظة اللينة الرقيقة واعتبروها مما يتميز بها الشعر الجيد، يقول صاحب الصناعتين: "وقد غلب الجهد على قوم فصاروا يستجيدون الكلام إذا لم يقفوا على معناه إلا بكد، ويستفصحونه إذا وجدوا ألفاظه كزة غليظة، وجاسية غريبة، ويستحقرون الكلام إذا رأوه سلساً عذباً حلواً، ولم يعلموا أن السهل أمنع جانباً، وأعز مطلباً، وهو أحسن موقعاً وأعذب مستمعاً"[٣]، ومن قبيل ذلك قوله: [الخفيف]

كـــانَ فـــي كثـــرةِ العتـــابِ دليـــلُ لـــيْ علـــى أنَّ مَـــنْ هويْـــتُ مَلـــولُ
مَـــنْ نـــوى جفـــوةً تقـــوَّل فـــي الحـــ ـــبِّ علـــى مَـــنْ يحبُّـــه مـــا يقـــولُ
فـــاقطعي الوصـــلَ أو صـــلي فبقـــائي مـــع طـــولِ العتـــابِ منـــكِ قليـــلُ
واســـلكي بـــي ســـبيلَ عـــروةَ إنْ لـــمْ يتَّجِـــهْ لـــي إلـــى رضـــاكِ ســـبيلُ[٤]

فالألفاظ رقيقة أجاد شاعرنا في اختيارها بحيث جاءت بسيطة سهلة، وتترفع عن الغرابة والابتذال معاً، وهي مناسبة للمعنى الذي يرمي إليه الشاعر، فرقة الألفاظ سمة غالبة على المعجم الشعري لدى ابن شخيص الأندلسي عامة .

وغير بعيد عن هذا قوله مصوراً تهالك أحد الطفليين على الطعام وحنينه إليه حنين المجوس إلى النيران ، مستخدماً لغة بسيطة لينة، فيقول :[الخفيف]

---

(١) مجيد عبد الحميد ناجي، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٤م، ص ٢٤٠ .

(٢) المجموع ، القطعة رقم ٨ . الفلكة : كل مستدير كفلكة المغزل وسميت به لاستدارتها"وتكسر" .الكير: زق الحداد ينفخ فيه النار .

(٣) أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص ٦٦ .

(٤) المجموع ، القطعة رقم ١٢ .

أنَـــا بالأكـــلِ مســـتهامٌ ورأيـــي فيـــه رأيُ المجـــوسِ فـــي النيـــرانِ
وإذا مـــا انقضـــى صـــنيعُ ولـــم أُدْ عَ إليـــه فـــي جملـــةِ الجيـــرانِ
عَرضـــتْ لـــي وســـاوسٌ لـــو أصـــابتْ قلـــبَ غيـــري لشُـــدَّ فـــي الأكفـــانِ
ولـــو أنـــي شـــهدتُهُ كـــانَ عنـــدِي كشـــهودِي لبيعـــةِ الرضـــوانِ [١]

ومن الظواهر اللغوية التي يمكن رصدها في شعر ابن شخيص الأندلسي تسرب بعض المفردات والكلمات الأندلسية الطابع إلى شعره، فاللغة الشعرية على حد قول صاحب كتاب اللغة بين الفرد والمجتمع "نشاط اجتماعي""[٢]، وإن أي تغير في هذا النشاط اللغوي لأي بيئة أو مجتمع يؤدي إلى تغير في اللغة الشعرية ذاتها، ويؤدي ذلك أيضاً إلى ظهور تراكيب مختلفة، أو مفردات جديدة، أو أنماط لغوية مختلفة، فاللغة الشعرية "هي المجال الأرحب لمظاهر التجديد وألوان الجدل التي تشتد مع كل مرحلة من مراحل التغير، وفي كل منعرج تاريخي"[٣]، وابن شخيص الأندلسي وفق هذا التصور لوظيفة اللغة الشعرية قادر " بل يجب أن يكون قادراً على تطوير اللغة حتى تصبح رفيعة دقيقة التعبير عن الأوضاع المعقدة والأغراض المتغيرة للحياة الجديدة"[٤] .

وفي أشعار ابن شخيص الأندلسي نجد ألفاظاً أندلسية دالة على أشياء من واقعهم أو أماكن أو صفات. حيث يتعلق الوصف بموضوع أندلسي خالص عاصره شاعرنا، كهذه القصيدة التي يصف فيها الزهراء، حيث وردت ألفاظ تخص تلك المدينة الملوكية التي بناها الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر، وما يتصل بها من مبان، يقول:[الطويل]

أَرَتْنَـــا بِـــكَ الزَّهْـــرَاءُ يَـــوْمَ اسْـــتلَامِنَا مِـــنَ الرَّاحَـــةِ الْعَلْيَـــا أَدِيْـــمَ الْأَنَامِـــلِ
أَتَيْنَـــا فَقَبَّلنَـــا النَّـــدَى وَلَـــو أَنَّنَـــا أَقَمْنَـــا أَتَانَـــا فِـــي ظِـــلَالِ الْمَنَـــازِلِ
يَمِـــيْنٌ وَقَـــى اللهُ الْجَمِيْـــعَ بِيُمْنِهَـــا مِـنَ الْخَـوْفِ مَـا يُخـوِي بُطُـونَ الْحَوَامِـلِ
سَـــقَى اللهُ مَغْنَـــى بُقْعَـــةٍ ضَـــمَّ شَـــمْلَنَا ذُرَاهَـــا إِلَـــى وَاقٍ مِـــنَ الْأَمْـــرِ شَـــامِلِ[٥]

---

(١) المجموع ، القطعة رقم ٢٤ .

(٢) أنوجسبرسون، اللغة بين الفرد والمجتمع، ترجمة عبد الرحمن محمد، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٤م، ص ١١ .

(٣) إبراهيم رماني، الغموض في الشعر العربي الحديث، ص ١٦٥ .

(٤) ت.س.إليوت، الوظيفة الاجتماعية للشعر، ترجمة عبد القادر الرباعي، مجلة أفكار، عمان، عدد كانون الثاني، ١٩٧٩م، ص ٧٦ .

(٥) المجموع ، القطعة رقم ١٦، ورمضان القلماوي، شعراء بني عامر المغمورين بالأندلس، جمع وتحقيق ودراسة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٢٢م، ص٧٠ .

وعني ابن شخيص الأندلسي بوصف الزهراء من حيث فخامة بنائها وروعة حياضها وبركها وتنوع طرائقها واتقان العمل فيها وأحكام الصنعة في التماثيل التي قامت عليها، وطبيعي أن تثير هذه البدائع قريحة شاعرنا فتفيض أشعاره بوصف مظاهر عمرانها وملامح عمارتها، وتتضمن لغته الألفاظ الخاصة بها كذكر أسماء الحيوانات التي وضعت تماثيلها على تلك البرك والحياض، وأسند إليها ما لا يكون لها على الحقيقة كمجها الماء من لهوتها في نحو قوله : [البسيط]

هـــذي مبـــاني أميـــر المـــؤمنينَ غـــدتْ يُـــزري بهـــا آخـــرُ الـــدنيا علـــى الأولِ
لقـــد جـــلا مصـــنعُ الزهـــراءِ عـــن أَثـــرٍ مُوحَّـــدِ القَـــدْرِ عـــن مِثْـــلٍ وعـــن مَثَـــلِ
فاقـــتْ محاســـنُها مجهـــودَ واصِـــفها فـــالقولُ كالسَّـــكتِ والإيجـــازُ كالخطـــلِ
كـــادت قِسِـــيُّ الحنايـــا أن تُضـــارِعَها أهلـــةُ السَّـــعدِ لـــولا وصـــمةُ الأفَـــلِ[1]

ويمجد ابن شخيص الأندلسي بطولة الخليفة الأموي الحكم المستنصر بالله، فقد مدحه بعد أن انتصر على الحسن بن قنون أمير الأدارسة بقلعته المنيعة حجر النسر، فقال:[الطويل]

ومـــا حَجَـــرُ النســـرِ المنيـــعُ بزعمـــهِ منيـــعٌ وهـــل حصـــنٌ مـــن اللهِ مـــانعُ
فلـــو طـــارَ فـــوقَ الأرضِ أو غـــارَ تحتَهـــا لمـــا خـــالَ أنَّ المنتـــأى عنـــكَ واســـعُ
ومـــا يضـــعُ الإدبـــارُ مَـــنْ أنـــتَ رافـــعُ ولا يرفـــعُ الإقبـــالُ مـــن أنـــتَ واضـــعُ[2]

ومن الظواهر اللغوية الأخرى في شعر ابن شخيص الأندلسي ذكر الطبيعة وعناصرها المختلفة، فهي تلهب أحاسيسه ومشاعره من خلال الألفاظ الرقيقة التي تعبر عن امتزاجه بها امتزاجاً قوياً، وكثيراً ما طرح عليها شاعرنا بعضاً مما يعتريه من سعادة وحزن، فتبدو ضاحكة مستبشرة تارة، وحزينة كاسفة تارة أخرى، اسمعه يقول: [الكامل]

اقْـــرِ السَّـــلاَمَ عَلَـــى الـــرّكينِ وَقُـــلْ لَـــهُ مُـــذْ غِبْـــتَ لَـــمْ أَرْتَـــج لِظـــلٍّ نَسِـــيْمِ
سُـــقْيَاً لِظِلِّـــكَ بِالْعَشـــيِّ وَبِالضُّـــحَى وَلِبَـــرْدِ مَائِـــكَ فِـــي احْتِـــدَامِ سَـــمُومِ
لَـــوْ كُنْـــتُ أَمْلِـــكُ مَنْـــعَ مَائِـــكَ لَـــمْ يُقِـــمْ فِـــي ظـــلِّ سَـــاحكَ مـــتمٍ لِلَئـــيمِ[3]

ويصنع ابن شخيص الأندلسي لوحة للماء المستخرج من باطن الأرض الذي يتناغم مع النفس البشرية الملتهفة إليه فيجود عليها بالري المتتابع، فيقول: [الطويل]

---

(١) المجموع ، القطعة رقم ١٧ .
(٢) المجموع ، القطعة رقم ٩ .
(٣) المجموع ، القطعة رقم ٢١ .

وقــدْ خَرَقْــت بُطُــونَ الأرضِ عــن نُطَــفٍ مــن أعــذبِ المــاءِ نحــوَ البيــتِ تُجْرِيهــا
طُهْــرُ الجُســومِ إذا زالــتْ طهارتُهــا رَيُّ القُلــوبِ إذا حــرَّتْ صَــوادِيها[1]

من كل ما سبق يتبين لنا أن للغة الشعرية وألفاظها في شعر ابن شخيص الأندلسي أثرا واضحاً في التعبير عن واقعه المعيش، بما تحمله من دلالات نفسية في شعره، وهذا ما أكده البحث عند الحديث عن الازدواجية الواضحة التي اتسمت بها لغة شعره، فتارة ألفاظه جزلة قوية يضطر القارئ إلى البحث في المعجم أو القاموس، وتارة ألفاظه عذبة سلسلة رقيقة تتلاءم مع مظاهر الرقي الحضاري في ذلك العهد .

- **البنية والإيقاع في شعر ابن شخيص الأندلسي :**

- الأوزان والقوافي :

سار ابن شخيص الأندلسي – في أوزانه – على نهج شعراء العربية؛ فنظم أشعاره على بعض البحور الشعرية المتعارف عليها، ونظم في أغلب الموضوعات الشعرية تقريباً .

ويوضح الجدول التالي، توزيع البحور الشعرية على الموضوعات المتنوعة :

البحر	المدح	الوصف	الغزل	الهجاء	المجموع
الطويل	٦	٣	٣	–	١٢
البسيط	٣	١	١	–	٥
الخفيف	١	٢	١	٤	٨
الكامل	–	–	١	١	٢
الوافر	–	١	–	–	١
الإجمالي	١٠	٧	٦	٥	٢٨

يتضح لنا من خلال الجدول السابق الذي يحتضن إحصاء دقيقاً للموضوعات الشعرية التي نظم عليها ابن شخيص الأندلسي شعره – يتبين لنا – أنه لم يقصر بحراً ما على غرض محدد، فقد استخدم شاعرنا بحر الطويل في المدح، والوصف، والغزل، بنسب متباينة، وكذلك بحر البسيط في المدح، والغزل، والوصف، والمتتبع للجدول السابق يلاحظ غلبة استخدام البحور في مجال المدح ثم الوصف ثم

(١) المجموع ، القطعة رقم ٢٦ .

الغزل، فقد " غدا من الصعب أن نقول: إن الشاعر يستخدم بحراً معيناً، في التعبير عن المدح، وآخر في التعبير عن الرثاء، وثالثاً للتعبير عن الغزل، وهكذا ...." [١].

وإحالة البصر بين تضاعيف الجدول السابق مرة ثانية سوف تشي أن" دوران البحر الواحد على معان مختلفة، كان أمراً طبيعياً، يتفق والذوق العربي للأبحر الشعرية، والتي يبرهن تنقل الشاعر بالبحر الواحد فيها – بين معان مختلفة – على مصداقية تمتعها بالحيوية والمرونة المتطورة والمتجددة في آن واحد" [٢].

فابن شخيص الأندلسي قد صاغ شعره من خمسة بحور شعرية – كما يتضح من الجدول السابق – وقد غلب عليه استخدامه البحور التامة ذات المقاطع الطويلة في شعره، أما عن البحور المجزوءة فلم يستخدمها، ويرجع السبب في ذلك إلى فقدان شعره مع ما فقد من مصادر بسبب النكبة التي حاقت بالأندلس على يد النصارى الأسبان الذين أعماهم التعصب الأعمى فدمروا كل ما وقعت عليه أعينهم من مؤلفات في شتى فروع العلم والمعرفة عدا العلوم الطبيعية والتجريبية وما يتصل بهما.

وبالربط بين البحور التامة والطويلة المقاطع وبين طول النفس، يظهر ابن شخيص الأندلسي شاعراً طويل النفس في غرض المدح، لأن البحور ذات المقاطع الطويلة؛ كالطويل والبسيط هي الغالبة على شعره. ولم يخرج شاعرنا في اختياره بحور مقطوعاته وقصائده، على ما سار عليه شعراء عصره، ومما نظمه ابن شخيص الأندلسي على بحر الطويل، قوله في مدح الخليفة الحكم المستنصر بالله :[الطويل]

أرى مشـــرقَ الـــدُّنيا ينـــافسُ مَغْربـــا ... علـــى غُـــرّةٍ لـــم تُبـــقِ للظلـــمِ غَيْهبـــا
بـــهِ صـــفتِ الـــدنيا ودرَّ نعيمُهـــا ... وطابـــتْ لياليهـــا فـــأهلاً ومَرحبـــا
ولـــو آثـــرتْ باســـم الخلافـــةِ غيـــرَهُ ... لكـــانَ المســـمّى بالإمـــامِ مُلقّبـــا[٣]

وركب ابن شخيص الأندلسي هذا البحر، فنظم عليه عدداً من مقطوعاته الغزلية، ومن قبيل ذلك قوله :[الطويل]

ومُعْتَلَّـــةِ الأجفـــانِ مـــا زلـــتُ مشـــفقاً ... عليهـــا ولكنّـــي أَلَـــذُّ اعتلالَهـــا
جفـــونٌ أجـــالَ الحســـنُ فـــيهنَّ فتـــرةً ... فحـــلَّ عُـــرَى الآجـــالِ منـــذُ أجالَهـــا[٤]

(١) على الغريب محمد الشناوي، الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م، ص٢٢٣ .
(٢) المرجع السابق، ص٢٢٥ .
(٣) المجموع ، القطعة رقم ٣ .
(٤) المجموع ، القطعة رقم ١٤ .

ووجد ابن شخيص الأندلسي في هذا البحر سبيله إلى الوصف، ومن ذلك قوله :[الطويل]

كـــأنَّ انْتثـــارَ الطـــلِّ فـــي الـــوردِ أَدْمُـــعٌ تَبَـــدَّى علـــى زهْـــرِ الخـــدودِ انتثارُهـــا

كـــــأنَّ جنـــــيَّ الأُقحـــــوانِ بروضِـــــها ثغـــورُ العـــذارى حـــينَ راقَ اثّغَارُهـــا[١]

وهكذا فالأفضل للشعر العربي أن" تختلف أبحره على أغراض ومعان كثيرة، من أن تتفق على عدد محدد منها؛ لأن الاختلاف يمنح فرصة كبرى للشعراء، بحيث يكون في مقدورهم أن يعبروا بحرية وانطلاق. أما الاتفاق والتحديد، فيقودانهم إلى تكرار بعضهم بعضاً، عندها ستحول الشعر من وسيلة لبعث المدهش والجديد، إلى وسيلة للرتابة والتقرير، ومن هنا، نحكم على أن المرونة التي في الأبحر العربية، إنما هي دليل على حيوتها المتجددة" [٢].

نظم ابن شخيص الأندلسي أشعاره في بعض البحور الشعرية وبالأخص التام منها ، والجدول يوضحها :

م	البحر	عدد الأبيات التامة	النسبة المئوية
١	الطويل	١٧٣	% ٥٣،٤٠
٢	البسيط	٨٨	% ٢٧،١٦
٣	الخفيف	٥٥	%١٦،٩٨
٤	الكامل	٤	%١،٢٣
٥	الوافر	٤	% ١،٢٣
	الإجمالي	٣٢٤	%١٠٠

يتضح لنا من خلال الجدول السابق الذي يحتضن إحصاء دقيقاً للأبحر الشعرية التي نظم عليها ابن شخيص الأندلسي شعره والنسبة المئوية التي يحتلها هذا البحر أو ذاك، يتبين أنه نظم على بعض البحور الشعرية مع تفاوت كبير بين دائرتين تحتضن كل واحدة منها عدداً من الأبحر، فالدائرة الأولى تضم ثلاثة أبحر حققت ذيوعاً لديه وهي على التوالي: الطويل والبسيط والكامل، والدائرة الثانية تضم بحرين اثنين وهما على التوالي: الخفيف والوافر.

إن شعر ابن شخيص الأندلسي قد خلا تماماً من بحور شعرية: كالسريع، والرمل، والمتقارب، والرجز، والمديد، والمنسرح، والمجتث، والمضارع، والمقتضب، والهزج، وهذه النتيجة" تتفق مع ما أجمع

(١) المجموع ، القطعة رقم ٦ .

(٢) عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية عند أبي تمام، منشورات جامعة اليرموك، الأردن، ط١، ١٩٨٠م، ص٣٣٥ .

عليه الباحثون في قضية شيوع الأوزان في الشعر العربي، من أنه ثمة أوزان أربعة قيل فيها أكثر من أربعة أخماس ما أحصى من الشعر، وهي: الطويل، والكامل، والوافر، والبسيط. وثمة أوزان أربعة، لم يقل فيها القدماء على الإطلاق، وهي: المضارع، والمقتضب، والمجتث، والمتدارك، ويستنتجون من ذلك أن هذه الأوزان الأربعة، لم يكن لها وجود حقيقي؛ ولكنها استخرجت من دائرة الخليل فشأنها شأن البحور المهملة"[١].

والباحث قبل الانتهاء من الحد الأول من حدود الموسيقى الخارجية المتمثل في الوزن يقرر من خلال الجدول التالي، والذي يقدم إحصاء دقيقاً لعدد أبيات كل بحر ونسبة الشيوع لدى ابن شخيص الأندلسي، أن البحور الشعرية التي اتكأ عليها شاعرنا تدور في مدرين تتفق وما ذهب إليه الدكتور إبراهيم أنيس[٢]، وهاكم الجدول :

المدار	البحر	عدد الأبيات	عدد أبيات كل مدار	النسبة المئوية لكل مدار
المدار الأول	الطويل	١٧٣	٢٦٥	% ٨١،٧٩
	البسيط	٨٨		
	الكامل	٤		
المدار الثاني	الخفيف	٥٥	٥٩	% ١٨،٢١
	الوافر	٤		
مجموع الأبيات			٣٢٤	

من الجدول السابق يتبين لنا أن ابن شخيص الأندلسي قد نظم أغلب شعره على ثلاثة أبحر حققت شيوعاً واسعاً لديه، وهذه الأبحر هي على التوالي: الطويل، والبسيط، والكامل، محققة نسبة مئوية قدرها " ٨١،٧٩ % "، أما المدار الثاني فقد ضم بحرين اثنين جاء شيوعهما محدوداً، حيث غطى نسبة مئوية قدرها "١٨،٢١ % "، فقط من مجموع المادة الشعرية موطن الإحصاء، وهذان البحران هما على التوالي: الخفيف والوافر .

(١) على الغريب محمد الشناوي، الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي، ص ٢٣١ – ٢٣٢ .
(٢) انظر : إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر، دار القلم، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٦٥م، ص١٩٤ – ١٩٧ .

كان تحديد القافية موضع جدل وخلاف بين أهل العروض([١])، فعرفها كل واحد منهم بما أراد، ولعل تعريف الخليل الفراهيدي لها، هو المعمول به والراجح، وهي عنده" من آخر البيت، إلى أول ساكن يليه، مع المتحرك الذي قبل الساكن"([٢])، ومن ثم"أضحى تعريفه حداً جامعاً مانعاً في تصور القافية، وأصبح لزاماً على مدرك القافية أن يأخذها بإطارها الشمولي فاهماً أن أي تطور لها يجب أن ينظر إليه من خلال وجودها كله، لا من خلال حرف من حروفها"([٣]).

حدد علماء العربية القدامى شروطاً للقافية الجيدة تتمثل في "أن تكون متمكنة في مكانها من البيت، ومعنى تمكن القافية أن معنى البيت يتطلبها، وأنها جاءت طيعة غير مغتصبة ولا مستكرهة، لتكمل هذا المعنى وهي لذلك مرتبطة بما قبلها ارتباطاً وثيقاً. وأن تكون عذبة سلسلة المخرج، موسيقية، لا تختم بما يدل على رقة في مقام القوة والفحولة"([٤])، وأن تكون "كالموعود المنتظر يتشوقها المعنى"([٥]).

لو نظرنا إلى الأحرف التي لم تلق قبولاً لدى ابن شخيص الأندلسي، التي لم يتخذ منها أحرف روى لقصائده ومقطوعاته لوجدنا أنها لا تخرج عما قرره دارسو موسيقى الشعر([٦]).فابن شخيص الأندلسي خلا شعره من حروف هي : "ث،خ، ذ، ز، ش ، ص ، ض، ط، ظ، غ، ك ، و"، وهذه الحروف بعضها ينطوي تحت ما أطلق عليه الدكتور عبد الله الطيب"القوافي الحوش"([٧])، والبعض الآخر ينطوي تحت ما أسماه "القوافي النفر"([٨])، وهذه الحروف أيضاً هي التي أشار إليها ابن الأثير في مؤلفه([١]).

([١]) انظر : ابن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، جـ١، ص ٢٩٤-٢٩٥، والخطيب التبريزي ، الوافي في العروض والقوافي، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ١٩٩-٢٠٠، وابن السراج الشنتريني : المعيار في أوزان الأشعار والكافي في علم القوافي، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الأنوار، بيروت، ط١، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص ٨٩-٩١.

([٢]) الخطيب التبريزي ، الوافي في العروض والقوافي، ص ١٩٩.

([٣]) أحمد كشك، القافية تاج الإيقاع الشعري، ص ١٣.

([٤]) أحمد بدوي ، أسس النقد الأدبي عند العرب، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ٣٤٦.

([٥]) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م، جـ١، ص ٦٥.

([٦]) انظر: إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر ص ٢٤٨، وعبد الرحمن السيد، العروض والقافية... دراسة ونقد، مطبعة قاصد خير، القاهرة، د.ث، ص ١٠١-١٠٢، وأحمد كشك، القافية تاج الإيقاع الشعري، ص ٥٦-٥٧.

([٧]) انظر : عبد الله الطيب المجذوب ، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٧٠م، ص ٦٣.

([٨]) انظر : عبد الله الطيب المجذوب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ص ٥٩ .

والراصد للأحراف التي أعجب بها ابن شخيص الأندلسي، فاتخذ منها روياً سوف يجد أنها تحلق في مدارات، حروف أكثر من استخدمها وهي على التوالي:" ب، ل، ع، ،ي، ن، ر"، حروف توسط في استخدامها وهي على التوالي:" ه، م"، حروف نظم عليها فليلاً وهي:" ح"، والجدول التالي يوضحها :

م	القافية	القصائد	المقطوعات	عدد الأبيات	النسبة المئوية
١	الباء	٢	١	١١٧	% ٣٦،٢١
٢	اللام	٣	٥	٨٤	% ٢٥،٩٢
٣	العين	٢	–	٥٤	%١٦،٦٦
٤	الياء	١	–	٣٢	%٩،٨٧
٥	النون	–	٤	١٤	% ٤،٣٢
٦	الراء	–	٤	١٠	% ٣،٢٨
٧	الميم	–	٣	٧	%٢،١٦
٨	الهاء	–	٢	٥	%١،١٦
٩	الحاء	–	١	١	% ٠،٠٣
المحصلة	٩	٨	٢٠	٣٢٤	%١٠٠

آثر ابن شخيص الأندلسي الروي المضموم فالمكسور فالمفتوح، ثم الساكن، وهذا يؤيد قول الدكتور شكري عياد من أن الشعراء يميلون في الروي إلى الكسرة والضمة أكثر من الفتحة(٢)، ومزيد من الايضاح ينظر الجدول الآتي:

الشاعر	عدد أبياته	حركة الروى	عدد أبيات كل روى	النسبة المئوية
ابن شخيص الأندلسي	٣٢٤	الضمة	١٢٨	%٣٩،٥١
		الكسرة	١٠٦	%٣٢،٧٢
		الفتحة	٨٤	%٢٥،٩٢
		السكون	٦	%١،٨٥

من الملاحظ أن ابن شخيص الأندلسي قد آثر القافية المطلقة – "وهي التي يكون رويها متحركاً"(١)– تاجاً لأشعاره، فأكثر منها كثرة ملفتة للأنظار، وذلك لأن "القافية المطلقة أوضح في

(١) انظر : ابن الأثير ،المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٢٨٢هـ، ص١٠٦– ١٠٧. .

(٢) انظر : شكري عياد، موسيقى الشعر، مشروع ودراسة علمية، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٧٨م، ص٣٥.

السمع، وأشد أسراً للأذن، لأن الروي فيها يعتمد على حركة بعده قد تستطيل في الإنشاد، وتشبه حينئذ حرف مد..." (٢)، واتكاء ابن شخيص الأندلسي على القافية المطلقة يتفق وما ذهب إليه شعراء العربية في العصور السابقة عليهم من إيثار لهذا النمط من أنماط القافية، فنحو تسعين في المائة من الشعر العربي قديمه وحديثه وقعت فيه القافية مطلقة(٣)، وقد استخدموا القافية المطلقة مردوفة ومؤسسة وموصولة.

أما القافية المقيدة – "وهي التي يكون رويها ساكناً"(٤)– فقد جاء الاعتماد عليها محدوداً، وهذا النمط قليل الشيوع في الشعر العربي، لا يكاد يجاوز ١%، وهو في شعر الجاهليين أقل منه في شعر العباسيين، وذلك لأن الغناء في العصر العباسي قد التأم مع هذا النوع وانسجم"(٥). ولمزيد من الإيضاح بنظر الجدول التالي:

الشاعر	مجموع أبياته	نوع القافية	عدد الأبيات	النسبة المئوية
ابن شخيص الأندلسي	٣٢٤	مطلقة	٣١٨	%٩٨،١٤
		مقيدة	٦	%١،٨٦

يبين الجدول السابق مدى انحسار القافية المقيدة على خارطة شعر ابن شخيص الأندلسي، فقد شكلت نسبة مئوية قدرها " ١،٨٦% " من إجمالي شعره .

- الإيقاع الداخلي :

اهتم ابن شخيص الأندلسي بالأوزان والقوافي، وهما جانبا موسيقى الإطار، واهتم كذلك بموسيقى المحتوى التي تأتي بعد الأوزان والقوافي، ويدخل فيها رد الأعجاز على الصدور ، والتصريع، والتكرار، والمقابلة والطباق، وسائر المحسنات الأخرى، مع ترتيب الكلمات وتركيب الكلام وتخيره، وكل ما من شأنه أن يعين الإيقاع الداخلي في القصيدة، وقد برزت لديه من خلال استخدامه مجموعه من الأساليب المحسنات المختلفة، وأهمها :

---

(١) إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر، ص٢٦٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٨١.

(٣) انظر : المصدر السابق ، ص ٢٦٠ .

(٤) شعبان صلاح ، موسيقى الشعر بين الاتباع والابتداع، دار الثقافة العربية، القاهرة، ط٢، ١٩٨٩م، ص ٢٥٣.

(٥) إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر، ص ٢٦٠ .

- **رد الأعجاز على الصدور :**

إن رد الإعجاز على الصدور من الظواهر البديعية المتصلة بالموسيقى اتصالاً وثيقاً، ويتبلور في "كل كلام منثور أو منظوم يلاقي في آخره أوله بوجه من الوجوه..." (١)، ورد الإعجاز على الصدور يكسب البيت الذي يرد فيه "أبهة، ويكسوه رونقاً وديباجة، ويزيده مائية وطلاوة..." (٢).

وينقسم إلى ثلاثة أقسام : الأول : ويتمثل في أن توافق آخر كلمة من البيت آخر كلمة في صدر البيت، والقسم الثاني : يتمثل في أن توافق آخر كلمة من البيت أول كلمة منه، والقسم الأخير: يتمثل في أن توافق آخر كلمة من البيت بعض ما فيه.

ومن أمثلة القسم الأول في شعره وهو ما يوافق آخر كلمة فيه أول كلمة في نصفه الأول ، قوله :[الطويل]

تواضعَ كي يزدادَ عِزّاً وإنما تقدَّمَ عندَ اللهِ التواضعِ(٣)

ومن أمثلة القسم الثاني وهو ما يوافق آخر كلمة من البيت آخر كلمة في صدر البيت ، قوله :[الطويل]

نوى بالنزوعِ اللهَ إذ كلُّ نازعٍ إلى ظلِّ مولانا إلى اللهِ نازعِ(٤)

- **التصريع :**

التصريع عبارة عن استواء آخر جزء في صدر البيت، وآخر جزء في عجزه في الوزن والروي والإعراب، ويقول ابن رشيق :"ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه، تنقص بنقصه، وتزيد بزيادته"(٥)، ويذهب الحموي إلى أن موطنه الأليق به هو مطالع القصائد، "وفي وسطها ربما تمجه الأذواق والأسماع"(٦)، ويختلف الأستاذ على الجندي حول هذا الملمح فيذهب إلى أنه قد "يقع التصريع في أثناء القصيدة بعد التصريع أولها، وهو عندهم دليل اقتدار الشاعر، وسعة بحره، وقوة طبعه"(٧).

---

(١) أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين "الكتابة والشعر "، ص ٤٢٩ .
(٢) ابن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، جـ٢، ص٣.
(٣) المجموع ، القطعة رقم ١٠ .
(٤) المجموع ، القطعة رقم ١٠ .
(٥) ابن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، جـ١، ص١٧٣.
(٦) الحموي ، خزانة الأدب، ص ٤٤٧ .
(٧) علي الجندي ، صور البديع (فن الأسجاع)، جـ٢، ص٧٩ .

وللتصريع فوائد كثيرة منها أنه "قبل كمال البيت الأول من القصيدة تعلم قافيتها"([١])، أنه يتولد عنه "جرس "جرس رخيم مطرب"([٢]).

والمتتبع لشعر ابن شخيص الأندلسي سوف يلمس مدى الإتكاء على التصريع أداة لتعميق الإيقاع الداخلي وتقليداً فنياً راسخاً ينبغي السير على نهجه ، ومن ذلك قوله في صدر قصيدة يمدح بها الخليفة الحكم المستنصر بالله :[البسيط]

أتَمَّ شعبانُ ما بدا بهِ رَجَبُ مِنْ قبلِ ما كانتِ الآمالُ تُرْتَقَبُ[٣]

وقوله :[الطويل]

أرى مشرقَ الدُّنيا ينافسُ مَغْربا على غُرّةٍ لم تُبقِ للظلمِ غَيْهبا[٤]

وقوله :[الخفيف]

كانَ في كثرةِ العتابِ دليلُ ليْ على أنَّ مَنْ هويْتُ مَلولُ[٥]

وقوله :[الطويل]

طلعتَ إلى الدنيا بسعدٍ مقابلِ فأنساكَ الإقبالُ عاماً بقابلِ[٦]

- **التدوير :**

ينشأ التدوير عندما تتحطم هندسة شطري البيت التي تعارف عليها العروضيون، فيمتزجان وتختلط الحدود الفاصلة بينهما، بواسطة كلمة "تصبح شركة بين قسميه، أي شطريه، غير قابلة للتقسيم إنشادياً، فحين تصير صيغة من الصيغ اللغوية مقسومة على قسمين: قسم يتم به تمام الشطر الأول، وقسم يبدأ به إيقاع الشطر الثاني، فإن هذا يعد في نظر الإيقاع الشعري تدويراً"([٧]).

وللتدوير– على قلة وروده في حنايا الشعر العربي بصفة عامة، والعامري بصفة خاصة– فائدة تتمثل في أنه "يسبغ على البيت غنائية وليونة"([٨])، ويبعد عنه "الرتابة والتكرار... إثراء للإيقاع

([١]) ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص ٩٧ .
([٢]) علي الجندي ، صور البديع (فن الأسجاع)، جـ٢، ص ٧٩ .
([٣]) المجموع ، القطعة رقم ٢ .
([٤]) المجموع ، القطعة رقم ٣ .
([٥]) المجموع ، القطعة رقم ١٢ .
([٦]) المجموع ، القطعة رقم ١٦ .
([٧]) أحمد كشك ، التدوير في الشعر العربي، دراسة في النحو والمعنى والإيقاع، مطبعة المدينة، ط١، ١٩٨٩م، ص ٧.
([٨]) نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر، منشورات دار الآداب، بيروت، ١٩٦٢م، ص ١١٢.

الداخلي... فالتدوير علاقة اتصال والتئام بين الأشطر، وبهذا التنويع الشطري – اتصالاً وانقطاعاً – يرحب النظام الإيقاعي لتمثل الحوار الشعري الذي يعتمد على الإمكانيات الإيقاعية المختلفة طولاً وقصراً"(١).

فمن النماذج التي ورد التدوير فيها بين تضاعيف قصائد ومقطوعات وردت على بحر الخفيف، قوله :[الخفيف]

إنَّ حسنَ الرياضِ صاغَ لها اللـ ـلُ برداً من ناضرِ الأقحوانِ
من مجالِ الأكفِّ في سفرةٍ تح وي صنوفَ الحيتانِ والخرفانِ
وكأنَّ الثريدَ والحمصَ المن ثورَ تاجٌ مُكلَّلٌ بجمانِ
وتخالُ الزيتونَ في قطعِ الص ينِ صُدوراً نُقطْنَ بالخيلانِ (٢)

- الطباق والمقابلة:

ويعرف أيضاً بالمطابقة، وهي كما عرفها صاحب العمدة : "المطابقة في الكلام أن يأتلف في معناه ما يضاد في فحواه، والمطابقة عند جميع الناس جمعك بين الضدين في الكلام"(٣)، وبمعنى آخر هي الجمع بين الشيء وضده في الكلام، ولا شك أن للطباق دوراً فعالاً في تحسين الكلام وإضفاء الجمال على العبارة، وذلك لوقعه اللطيف في نفس المتلقي، والمقابلة هي "أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب"(٤).

ولجأ ابن شخيص الأندلسي إلى استعمال الطباق والمقابلة في شعره ، فنجده يرصد موقفاً ضدياً في معرض مدحه للخليفة الحكم المستنصر بالله ، فيقول :[الطويل]

أرى مشرقَ الدُّنيا ينافسُ مَغْربا على غُرّةٍ لم تُبقِ للظلمِ غَيْهبا(٥)

وقوله:[البسيط]

---

(١) أحمد كشك ، التدوير في الشعر العربي، دراسة في النحو والمعنى والإيقاع، ص ١٢٣ .
(٢) المجموع ، القطعة رقم ٢٣ .
(٣) ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، جـ٢، ص٥ . ينظر أيضاً: ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، جـ١، ص ١٥٦، وأبو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، ص ١١١، ص٣٤٦، وبدر الدين بن مالك، المصباح في المعاني والبيان والبديع، تحقيق حسن يوسف ، مطبعة الآداب، القاهرة، ص١٩٠، وأسامة بن منقذ ، البديع في نقد الشعر، وسماه التطبيق، ص ٣٦، وعبد العظيم المطعني، البديع في المعاني والألفاظ، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م، ص ٥١، ويحيى معطي ، البديع في علم البديع، تحقيق محمد أبو شوارب، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٣م، ص ٢٢٢، وأبو علي محمد وآخرون، علم البلاغة، عمان، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط١، ١٩٩٧م، ص ٣٥١.
(٤) القزويني، الايضاح في علوم البلاغة، ص٤٥٨،
(٥) المجموع ، القطعة رقم ٣ .

يرجـو الحيـاةَ ويخشـى المـوتَ فَهْـوَ علـى حـالينِ ضـدَّيْنِ : مسـرورٌ ومكتئـبُ[١]

وقوله:[البسيط]

جمعـتَ بمـا فرّقـتَ شـملَ جميعِنَـا فأنـتَ بتفريـقِ الـذخائرِ جـامعُ[٢]

وقوله :[الطويل]

فعَمَّـرَ أهـلُ الفضـلِ كُـلَّ الجوامـع وعطَّـلَ أهـلُ اللهـو كـلَّ المصـانعِ[٣]

ومما سبق يتضح لنا مدى قدرة ابن شخيص الأندلسي على تفجير الطاقات الإيقاعية التي تختزنها حروفه وألفاظه وعباراته ، والتي أكسبت شعره نغمة موسيقية رائعة ، منطلقاً في صنيعة هذا من إدراك عميق لما للموسيقى من أثر فعال وهام في نقل التجربة كاملة وتنمية الحدث الشعري .

- الصورة الشعرية عند ابن شخيص الأندلسي :

هناك عوامل عديدة كان لها أثر كبير في تشكيل الصورة ورسمها عند ابن شخيص الأندلسي، ولعل أبرزها الحضارة الجديدة والظروف المحيطة به، كما كان للطبيعة الأندلسية والتراث العربي القديم أثر في تكوين صوره الشعرية أيضاً.

وقد تبين لنا في دراستنا لشعر الشاعر، أن هناك صور جديدة للحضارة الأندلسية التي عاصرها الشاعر، واحتذاها الشعراء في ظل الدولة العامرية، مع اختلافات طفيفة في بعض الأحيان، فقصور مدينة الزهراء الملوكية ذات الأعمدة الرخامية الناصعة، والأجنحة الهندسية المتقنة، وقد أحاطت به رياض وبساتين مليئة بالنواوير وبخاصة نور النرجس والسوسن والبهار والياسمين، كما تضوعت بروائح المسك والعنبر الشذية.

فمن الصور الحضارية التي تعكس أثر البيئة الأندلسية قول شاعرنا واصفاً قصر مدينة الزهراء مستخدماً التشبيه المتعدد :[البسيط]

كأنمـا أُفرغَـتْ ألـواحُ مَرمـرِهِ مـن مـاءِ عصـراءَ لـم يَجْمُـدْ ولـم يَسـلِ

أو قَـدَّ مـن صـفحاتِ الجـوِّ يـومَ صـفا ورقٌ مـن أجـلِ كـونِ الشـمسِ فـي الحمـلِ

يُـزري برقَّـةِ أبشَـارِ الخـدودِ جـرى مـاءُ الحيـاءِ بهـا فـي سـاعةِ الخجـلِ[٤]

(١) المجموع ، القطعة رقم ٢ .
(٢) المجموع ، القطعة رقم ٩ .
(٣) المجموع ، القطعة رقم ١٠ .
(٤) المجموع ، القطعة رقم ١٠ .

لقد حول شاعرنا ألواح المرمر إلى ماء عذب رقراق صاف" لم يجمد ولم يسل " والمتتبع لوصف الشاعر يلحظ أن اللون ومدى شفافيته قد بلغ ذروته لديه، بل جنح به خياله إلى طبقة الغلاف الجوي لينتزع من رقتها وصفائها لوناً يكسو به تلك الألواح، وعندما يكون الجو أشد صفاء يؤكد ابن شخيص على مدى صفو اللون وشفافيته" من أجل كون الشمس في الحمل"، وهي صورة رائعة تكشف عن ولع الأندلسيين بطلب الصورة .

وابن شخيص الأندلسي قد " اهتم بعناصر الطبيعة المتنوعة، كالجو بربيعه وشتائه ورياحه، والأرض برياضها وشجرها، وأنهارها، وصحرائها، وهكذا كان اهتمام الشاعر بكل ما هو نام أو ميت من الطبيعة، وعناصر الطبيعة كثيرة ومتنوعة؛ ولهذا فإننا سوف ننتخب منها، ما يدل على ذوق الشاعر، ويكشف عن نفسيته، ويجلي أعماقه "[١].

ومن قبيل ذلك قوله في معرض مدحه للخليفة الحكم المستنصر بالله نجده يتوسل بظاهرتي الشروق والغروب ، ليثبت حسن طلعته وصحة رؤيته ويؤكد عليها ، ويزيدها قوة ووضوحاً ، فيقول:[الطويل]

ولما جَلاهُ البِشرُ غَيَّبَهُ السَّنَا كذلكَ قُرص الشمسِ بَادٍ مُغَيَّبُ

فيا حُسْنَ قَدْرِ المُلْكِ يومَ طلوعِهِ لنا لو بَدَا من جانبِ الطُّورِ كوكبُ[٢]

فصورة المشبه " ولما جَلاهُ البِشرُ غَيَّبَهُ السَّنَا" تفيد أن هناك حالة من السرور والبشر يتبعها نور وسنا، وصورة المشبه به "كذلكَ قُرص الشمسِ بَادٍ مُغَيَّبُ" تكشف عن تلك الحالة التي تتروح بين النور واختفائه، والملاحظ أن شاعرنا حرص على تمثيل حالة الظهور والخفاء بتلك الموازنة الدقيقة ليثبت صفة الممدوح ويزيدها وضوحاً وقوة، ويؤكد صحة ما نسب إلى ممدوحه من خلال وشمائل تخصه وحده دون غيره، لذا نراه يتوسل بظاهرتي الشروق والغروب .

ونقع على بعض الصور التشبيهيه التي تتسم بالمبالغة والغلو كصورة وصف الورد والأقحوان ، ويستخدم التشبيه المقلوب وسيلة من أجل اظهار فكرته ، وهذا النوع من التشبيه يترك أثراً عميقاً وواضحاً لدى المتلقي، لأنه " يُوقع المبالغةَ في نفسك من حيث لا تشعر، ويُفيدُكَهَا من غير أن يظهر ادِّعاؤه لها، لأنه وضع كلامَه وَضْعَ مَنْ يقيس على أصل متَّفَقٍ عليه، ويُزَجِّي الخبر عن أمرٍ مسلَّم لا حاجة فيه إلى دعوى ولا إشفاقَ من خلاف مخالفٍ وإنكار منكرٍ، وتجهُّمِ معترضٍ، وتهكُّم قائِلٍ: لِمَ؟، ومن أين لك ذلك؟، والمعاني إذا وردت على النَّفس هذا المورِدَ، كان لها ضربٌ من السُّرور خاصٌّ وحَدَث بها من

---

(١) على الغريب محمد الشناوي، الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م، ص٧٤ .

(٢) المجموع ، القطعة رقم ١ .

الفَرح عجيبٌ، فكانت كالنعمةِ لم تُكدرها المِنَّة، والصَّنيعةِ لم يُنَغِّصها اعتداد المُصْطَنِع لها، "[١]،اسمعه يقول :[البسيط]

وأشـــرقَ الأفـــقُ لمـــا عمَّـــه جَـــذَلٌ ونـــوّر الأرضُ لمـــا هـــزَّه طـــربُ
فـــالوردُ يحكـــي خـــدوداً راقَهَـــا خَجَـــلٌ والأقُحـــوانُ ثغـــوراً زانَهـــا شَـــنَبُ[٢]

لقد أحدث الشاعر انقلاباً في القاعدة المتعارف عليها بين معظم الشعراء والنقاد القدماء، وذلك بارتجاعه التشبيه ارتجاعاً عكسياً وما هذا الارتجاع إلا صيغة من صيغ المبالغة، التي تهدف إلى تقرير المعنى وتأكيد الصفة التي يرمي إليها الشاعر، وقد أضحت المبالغة جلياً في الخدود والثغور اللذين أصبحا أصلين يقاس عليهما، تأكيداً وتغليباً لهما على الورد والأقحوان، والمعهود أن الورد أكمل وأتم في الصفة التي دار حولها التشبيه المقلوب، وهي الحمرة والتوريد من خدود العذارى، وكذلك نور الأقحوان أكمل وأتم في الصفة من ثغور العذارى، وما هو إلا هروب من مصيدة التكرار والتقليد، ووسيلة حيوية من وسائل المبالغة والغلو .

ونجد أثر المصادر التراثية والثقافية الدينية تتسلسل إلى صوره الشعرية فيكثر من قصص الأنبياء في قوله :[البسيط]

إذا جَلَـتْ للـورى الوجـهَ الـذي حَسَـدتْ حَـبُّ القلـوبِ عليـهِ نـاظرَ المُقَـلِ
أغضَـوا ولـولا تلالـي بشـرِهِ لحكَـوْا موسـى أوانَ تَجلَّـى النـورُ للجبـلِ[٣]

ومن قبيل ذلك قوله مفضلاً الورد على الآس من خلال هذه الصورة التشبيهية ذات المحاورة الظريفة بينهما :[الوافر]

أرادَ الـوردُ بـالآسِ انتِقاصـاً فقـالَ لـهُ : نَقِيصَـتُك المـلالُ
فقـال الـوردُ : لسـتُ أزورُ إلّا علـى شـوقٍ كمـا زارَ الخيـالُ
وأنـتَ تُـدِيمُ تَثقـيلاً طـويلاً تَـدوُمُ بـه كمـا رَسَـتِ الجبـالُ
فتشْـأَمُكَ العيـونُ لـذاك بُغْضـاً وتَرْقُبُنِـي كمـا رُقِـبَ الهـلالُ[٤]

(١) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ص٢٢٤ – ٢٢٥ .
(٢) المجموع ، القطعة رقم ٢ .
(٣) المجموع ، القطعة رقم ١٨ .
(٤) المجموع ، القطعة رقم ١١.

يأتي الشاعر بالدليل والحجة على تفضيل الناس للورد على الآس، فالناس تتنظر زمن الورد كما تنتظر ظهور الهلال في أفق السماء؛ لأنه لا يطيل المكوث والإقامة بينهم، فلا يكادون يروون غلتهم منه حتى ينصرف مودعاً فيترك النفوس تضطرم حنيناً وشوقاً إليه، أما الآس فإنه ثقيل لطول بقائه ومكوثه بينهم فأنهم يسئموه، فابن شخيص الأندلسي على هذا النحو لا يستمتع بالطبيعة ببصره فحسب، وإنما يرهف سمعه ويشنف أذنه أيضاً ليسمع ويرى ما يدار ويجري بينهما من أحاديث لا نعقلها نحن البشر العاديين لأننا لم نؤت ما أوتيه من حس مرهف، ومقدرة تصويرية عالية، أجاد من خلالها أن يسقط مشاعره نحو الثقلاء على الطبيعة نفسها، ويكشف عن ولع الأندلسيين بالطبيعة على نحو يثير الإعجاب والدهشة .

ويبلغ تجسيم المدركات المادية والمعنوية شأواً بعيداً لدى ابن شخيص الأندلسي في هذه الأبيات، التي وصف فيها عودة القائد المظفر غالب الناصري قائد الثغر الأعلى بعد انتصاره الباهر على الأعداء في العدوة المغربية، وقد وافق رجوعه من الغزو عيد الفطر المبارك، حيث قال مشخصاً ومجسماً معاني الارتياح والفرحة بهذا النصر العظيم مستخدماً التشبيه: :[الطويل]

كَأَنَّكَ بِاليَوْمِ الْمُعجَّلِ لِلْعَدَى ... بِوُضعِ الْحُبَالى أَو بِشَيْبِ الْمَرَاضعِ

وَكُلّ لِكُلّ الهَاشِميينَ طَائعٌ ... كَعَاصٍ وَلِلْمَهديِّ عَاصٍ كَطَائعِ

أَمَانِيُّهم تَرْنُو إِلَيْهِ كَمَا رَنَتْ ... عُيُونُ الْغَوَانِي مِنْ فُتُوقِ الْبَرَاقِعِ

إِذَا استَبَقَ الْأَمْلاَكُ مِنْ آلِ غَالِبٍ ... حَوَى قَصَبَاتِ السَّبقِ غَيْرَ مُدَافِعِ[1]

واستغرق الشاعر في تشبيهاته المتنوعة التي أراد التعبير عنها، فهو يتعمق في كل تشبيه قدر الإمكان، ويكثر من الوصف والتفصيل، خاصة أن المراد التعبير عنه أمر ذو علاقة قوية بالسلطة الأموية الحاكمة، والإفصاح عنه يتطلب الدقة في الأداء، والجودة في التركيب والصياغة دون إسراف أو تكلف، فيجب "أن تخاط على قدود المعاني، فلا توصف بالبلاغة لتأكيدها وإجمالها، ولكن لأنها أفادت الغرض وأحسنت الأداء عنه، ووقعت فيها الصورة على المعنى الذي يناسبها أيا كان لون التشبيه"[2] .

وينظر ابن شخيص الأندلسي إلى الطل المتناثر على الورد والأزهار، فيربط بين حمرة الورد وحمرة الخد، ويجعل الطل أشبه بدموع متناثرة فوقها، وقد اتخذ من الصورة اللونية سياجاً يحيط بكافة تفاصيلها وأجزائها، فيقول: [الطويل]

---

(1) المجموع ، القطعة رقم ١٠ .

(2) علي الجندي، فن التشبيه، بلاغة، أدب، نقد، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط١، ١٩٥٢م، ج٢، ص٢٩٨ – ٢٩٩ .

كـــأنَّ انْتثـــارَ الطـــلِّ فـــي الـــوردِ أَدْمُـــعٌ تَبَـــدَّى علـــى زهْـــرِ الخـــدودِ انتثارُهـــا[١]

وفي وصف الحجيج وذكر شعائرهم وابتهالاتهم عند رمي الجمار، يقول شاعرنا: [الطويل]

حَكَـــىَ هَـــزجَ الْأَطيَـــارِ لَـــيْلاً عَجِيْجُهَـــا وَمُسْـــتترَ النّـــوَّارِ صُـــبْحَاً جِمَارُهَـــا[٢]

ونجد عدم توافق بين طرفي التشبيه السابق، من حيث الأثر والجو النفسي الذي يثيره كل طرف من طرفي التشبيه، فالأصوات العالية والمرتفعة التي تصدر عن الحجيج في هذه البقاع المباركة، لا تتفق مع تغريد الطيور التي تتسم بالمرح والبهجة، فإذا كان الشطر الأول من البيت الشعري يثير فينا الخشوع والتبتل الممزوج بالرهبة الصادرة عن المكان المقدس فإن الشطر الثاني من البيت الشعري يثير فينا السعادة والمرح، وكذلك براعم الزهور والورود لا تتفق في مدلولها المعنوي مع رمي الجمار، ولربما قصد ابن شخيص الأندلسي إلى المبالغة في هذه الصورة الشعرية لنيل إعجاب وعطايا الخليفة الأموي الحكم المستنصر بالله .

وقد أعجب ابن شخيص الأندلسي بالمياه الكثيرة التي راحت تنتشر بين حدائق مدينة الزهراء وكيف أنها تتسم بالرقة، والنسيم العليل الموشى برائحة الورود يتهادى في دلال وتيه يمنح أريجه ريح الشمال، والنهر أشبه بسيف مسلول وقد توشح الماء منه بوشاح رقيق، فيقول: [البسيط]

وَإِنْ حَـــدَّاهُ نَسِـــيْمُ الـــرّيحِ تَحْســـبُهُ صَـــفِيحةَ السَّـــيفِ هَزَّتهَـــا يَـــدُ الْبَطَـــلِ[٣]

ويكشف ابن شخيص الأندلسي عن صفة البخل وأهله، ويصف موقفه مع بعضهم، فيقول: [الخفيف]

كلمـــــا جئـــــتُهمْ لأنشـــــدَ شـــــعري طَمَعـــــاً مـــــن نـــــوالِهِمْ باليســـــيرِ

فكـــــأنّي وضـــــعتُ فَلْكَـــــةَ بُـــــوقٍ فـــي فمـــي أو ضـــغطتُ أنبـــوبَ كيـــرِ[٤]

ومما سبق يتبين لنا أن التراث العربي القديم كان القاعدة الأساسية التي استند عليها ابن شخيص الأندلسي في التعبير عن عواطفه، كما كان للحضارة الأندلسية المتمثلة في الخلافة الأموية والظروف المحيطة به أثر في تكوين بعض صوره الشعرية أيضاً، ولذلك جاء شعر ابن شخيص الأندلسي "في معظمه شعر وضوح لأن الفكرة تغلب الانفعال تحت وطأة سلطان العقل، الذي يرعى الخيال ويحكمه

(١) المجموع ، القطعة رقم ٦.
(٢) المجموع ، القطعة رقم ٥.
(٣) المجموع ، القطعة رقم ١٧ .
(٤) المجموع ، القطعة رقم ٨ .

بقوانين الطبيعة الصارمة، وقواعد المنطق المحكمة. فيقف عند جدار الأشياء والأجزاء، ولا يتعداها إلى الأعماق والكليات. وهو خيال وصفي يستعيد صورة العالم مثلما هي دون تغيير جذري أو ابتكار غريب أو بعث جديد . لذلك يبقى الخيال مألوفاً، متعقلاً واضحاً، لا يصدم المتلقي ولا يولد الغرابة في المتن الشعري"[١] .

(١) إبراهيم رماني ، الغموض في الشعر العربي الحديث، ص ٢٤٨ .

- الخاتمة -

عند هذا الحد انتهي من الحديث عن شعر ابن شخيص الأندلسي، قراءة نقدية، وقد قام هذا الشاعر بدور كبير في بلاط الخلافة الأموية، والحياة الفكرية والأدبية بقرطبة الأندلسية .

تحدثت عن الشاعر وذكرت أنماطاً من شعره في المدح، والوصف، والغزل... وذكرت أن شاعرنا شارك في جميع الأغراض الشعرية، ففي قراءتنا النقدية لاحظنا أن شاعرنا يبتغي من قصائده المدحية السياسية التقرب من الخلفاء الأمويين ونيل الحظوة لديهم، وكان يتخذ من وصف الفتن والثورات على الحكم الأموي وسيلة لمدحهم، وهو يعدّ خطوة فنية موفقة من قبله، وأخطر ما في موضوعه المدحي يتمثل في التباهي بالحروب ضد الخارجين على الحكم الأموي من أهل العدوة المغربية، ووصف القوات الأندلسية الحربية البرية والبحرية، والتغني بانتصارات الأندلسيين، فقد أثبت ابن شخيص الأندلسي قدرته الفنية الرائعة وتخصصه الدقيق وإدراكه الفائق، فكان مجيداً في تناول هذا الضرب على وجه الخصوص محافظاً على المكانة الرفيعة لدى الخلفاء الأمويين، والحجاب العامريين .

وابن شخيص الأندلسي في وصفه تناول كل عناصر الطبيعة على اختلاف مظاهرها، وفي ذلك تعلق شاعرنا ببيئته ومدينته العريقة قرطبة، واندماجه العاطفي معها، واتكائه عليها لاستفتاح أشعاره المدحية بها كمطالع لها، وتوجهاته نحو تشخيصها وتصويرها على نحو إنساني واضح، وقد جاءت في مقطوعات مستقلة تارة، ومزجها بموضوعاته المتنوعة كالمدح والخمر والغزل تارة أخرى، واعتباره المرأة مصدر العطاء والخير والنور، ولهذا خلع أوصافها المتنوعة على الطبيعة.

وفي قراءتنا لأشعار ابن شخيص الأندلسي في هذا الميدان، وجدناها تشمل مجالات الطبيعة الحية، والصامتة، والصناعية، ولاحظنا جدة الوصف وتماسك الأثر الشعري في هذا الفن .

واتكأ ابن شخيص الأندلسي على فن الغزل في قصائد وصف الطبيعة، أو المدح، أو تصوير مجلس الخمر والمجون، فقد دمجها مع فنون أخرى، كما استطاع أن ينتقل فيه إلى وصف رائع يتسم بالانسجام والوضوح في قصيدته الشعرية نحو الاستقلالية، والمشاعر الوجدانية، ووحدة الموضوع النفسي، ففي قرائتنا لهذا الفن الشعري لاحظنا أنه يتميز بنوع من العواطف النزيهة والتسامي عن الحسية المفرطة، كما يكشف فيه الحجاب عن تقليد فني متبع في أغلب قصائده الشعرية، وبالتالي كان هذا الغرض معتدلاً في مقاصده، مألوفاً في معانيه .

وأما الهجاء فقد لاحظنا نماذجه ميسورة بين أيدينا بالرغم من إحجام بعض الأدباء والمؤرخين الأندلسيين كابن بسام والحميدي وغيرهم عن اثبات العديد من آثاره في مصنفاتهم المتنوعة، ففي قراءتنا النقدية لهذا الفن الشعري لاحظنا أن شاعرنا صور لنا جانباً معتماً من حياة الأندلسيين الاجتماعية، كما أنه ينبه الأذهان إلى موقف ابن شخيص الأندلسي من المجتمع وما يدور فيه من علاقات اجتماعية،

فضلاً عما يسجله من المعاني الاجتماعية وقتذاك، وكذلك يتبين لنا عدم وجود أي ذكر للهجاء السياسي في شعره .

وعكست أشعار ابن شخيص الأندلسي عدة مؤثرات كان لها أثر بارز في تكوين ثقافته الشعرية، ولعل أبرزها القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والتراث الشعري القديم، واستدعاء الأعلام والأماكن التراثية ذات الصبغة التراثية، ولم تسهم المؤثرات الأجنبية بدور فعال في ثقافته الشعرية ولم تترك أثراً عليه لخلو شعره منها .

وقد تأثر ابن شخيص الأندلسي بطبيعة الموضوع الذي يعالجه من حيث اختيار الأسلوب الذي يتوافق معه والألفاظ التي يغلب استعمالها فيه، فالقارئ لشعره والمتابع لمفردات معجمه الشعري سوف يلمس مدى ازدوجية اللغة لديه، فهو في مدائحه للخلفاء والحجاب الأمويين يجنح إلى استعمال اللغة العربية الفصحى والألفاظ المعجمية الجزلة، مما يستوجب أحياناً كثرة البحث في بطون المعاجم والقواميس، بينما استعمل في مجال الغزل ووصف الطبيعة لغة لينة سهلة بعيدة كل البعد عن الغموض والتعقيد .

وقد تبين لنا في إحصائنا للبحور الشعرية لدى ابن شخيص الأندلسي في مجمل شعره أن بحر الطويل فالبسيط فالخفيف كانوا في مقدمة الأوزان الشعرية المحببة لديه، بينما جاء الكامل في الترتيب الرابع في مجمل شعره متوازياً بذلك مع بحر الوافر، وعني أيضاً بالفاقية لكونها من عناصر الشعر الضرورية مستعملاً في الروي حروف اللغة العربية، وكان أكثرها وروداً لديه الباء واللام والعين والياء والنون والراء والميم والهاء والحاء، وقد دعم ابن شخيص الأندلسي موسيقاه الداخلية فاستخدم التدوير والتصريع ورد الأعجاز على الصدور والتكرار والمقابلة والطباق .

وأوضحت دراسة الصورة الشعرية لدى ابن شخيص الأندلسي مدى تأثره بالتراث المشرقي في رسم صوره الفنية، فاستخدم كثيراً من المعاني والصور القديمة في التعبير عن مشاعره وأحاسيسه من خلال حنينه للأغراض الشعرية المتنوعة، كما تأثر ببيئته واستوعب ثقافة عصره، فأبدع صوراً مؤثرة يمتزج فيها القديم والجديد .

وقد نوع ابن شخيص الأندلسي صوره التشبيهيه، فكانت متكاملة الأطراف والعناصر، واستطاع من خلالها أن يحرك مشاعر المتلقي، إقناعاً وتأثيراً، انطلاقاً من المواقف المختلفة التي صورها .

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية :

١- **ابن الأثير** (نصر الله بن محمد بن عبد الكريم ت ٦٣٧هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٢٨٢هـ.

٢- **الثعالبي** (أبو منصور عبد الملك ت ٤٢٩هـ) ، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق د. مفيد محمد قميمة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

٣- **ابن جزي الكلبي** (محمد بن أحمد بن عبد الله ت ١٣٤٠م)، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ .

٤- **الجرجاني** (الإمام عبد القاهر ت ٤٧١هـ) ، أسرار البلاغة، تحقيق د. محمود محمد شاكر، مطبعة المدني ، القاهرة، ١٩٩١م.

٥- **ابن حزم** (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ت ٤٥٦هـ) ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٤٨م.

- رسائل ابن حزم ، تحقيق د. إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٠م.

٦- **ابن حيان** (أبو مروان حيان بن خلف ت ٤٦٩هـ) ، المقتبس في تاريخ الأندلس، تحقيق د. إسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط١، ١٩٩٠م.

- المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق د. عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م.

- المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق د. محمود علي مكي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٧١م.

٧- **الحميدي** (أبو عبد الله محمد بن فتوح الأزدي ت ٤٨٨هـ) ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٨م .

٨- **الحميري** (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ت ٨٦٦هـ) ، الروض المعطار في خبر الأقطار، حقق ليفي بروفنسال جزءاً منه ، ونشره تحت عنوان صفة جزيرة الأندلس ، وصححه د.محمد فؤاد عبد الباقي ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٧م.

٩- **ابن الخطيب** (لسان الدين أبو عبد الله محمد ت٧٧٦هـ) ، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق الأستاذ محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠١م.

١٠- **الخطيب التبريزي** (أبو زكريا يحيى بن علي ت٧٤١هـ) ، الوافي في العروض والقوافي، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٢م .

١١- **ابن خير** (أبو بكر محمد ت ٥٩٣هـ) ، فهرسة ما رواه عن شيوخه، تحقيق خليان ربارة طروغوه، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.

١٢- **ذو الرومة**، ديوان ذي الرومة، تحقيق، أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م .

١٣- **ابن رشيق** (أبو علي الحسن القيرواني ت ٤٥٦هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق د. محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١م.

١٤- **ابن سعيد** (أبو الحسن علي بن موسى ت ٦٨٥هـ) ، المغرب في حلي المغرب، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م.

- المقتطف من أزاهر الطرف ، تحقيق د. سيد حفني حسنين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٩٨٤م.

١٥- **الضبي** (أحمد بن يحيى بن عميرة ت ٥٩٩هـ) ، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٨م .

١٦- **ابن عذارى** (أبو عبد الله محمد المراكشي ت ٧١٢هـ) ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ليفي بروفنسال، وكولان، دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.

١٧- **العسكري** (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ت ٣٩٥هـ) ، كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تحقيق د. البيجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ .

١٨- **ابن الكتاني** (أبو عبد الله محمد بن الحسن بن الحسين ت ٤٢٠هـ) ، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق د. إحسان عباس، دار الشروق، بيروت، ط٣، ١٩٨٦م.

١٩- **المرزوقي** (أبو علي أحمد بن محمد ت ٤٢١هـ) ، شرح ديوان الحماسة، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٦٩٧م .

٢٠- **المقري** (أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني ت ١٠٤١هـ) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

٢١- **أبو نواس**، ديوان أبي نواس، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكاتب العربي، بيروت، ١٩٨٤م .

٢٢- **ابن منظور الإفريقي، لسان العرب**، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٤هـ .

ثانياً: المراجع العربية:

٢٣- **أنيس** (إبراهيم) ، موسيقى الشعر، دار القلم، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٦٥م.

– الأصوات اللغوية، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦١م.
– دلالة الألفاظ، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٥٨م.
٢٤– **أنـو جبرسـون**، اللغـة بين الفرد والمجتمـع، ترجمـة عبد الرحمن محمد، مكتبـة الأنجلو المصـرية، القاهرة، ١٩٥٤م .
٢٥– **ت.س. إليوت**، الوظيفة الاجتماعية للشعر، ترجمة عبد القادر الرباعي، مجلة أفكار، عمان، العدد الثاني، ١٩٧٩م .
٢٦– **بدوي** (أحمد أحمد) ، أسس النقد الأدبي عند العرب، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٤م.
٢٧– **الجندي** (علي) ، فن التشبيه، بلاغة، أدب، نقد، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط١، ١٩٥٢م .
٢٨– **الربـاعي** (عبد القـادر) ، الصـورة الفنيـة عنـد أبـي تمـام، منشورات جامعـة اليرمـوك، الأردن، ط١، ١٩٨٠م.
٢٩– **سـزكين** (فـؤاد) ، تـاريخ التـراث العربـي، وزارة التعلـيم الجـامعي، جامعـة الإمـام محمـد بـن سـعود الإسلامية، السعودية، ١٩٨٤م.
٣٠– **السقا** (مصطفى) ، مختار الشعر الجاهلي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط٤، ١٩٧١م .
٣١– **سـويفي** (مصـطفى) ، الأسـس النفسـية للإبـداع الفنـي فـي الشـعر خاصـة، دار المعـارف، القـاهرة، ط٢، ١٩٥٩م.
٣٢– **الشناوي** (على غريب محمد)، الخمريات في الأدب الأندلسي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٠ م .
– دراسات في الشعر الأندلسي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٣ م .
– الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٣ م .
– الإخوانيات في الشعر الأندلسي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٦ م .
– المعارضـات فـي الشـعر الأندلسـي ، القصـيدة العباسـية نموذجـاً ، مكتبـة الآداب ، القـاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٣ م .
– مـن المـنهج الطقوسـي إلـى التنـاص، دراسـة نقديـة تحليليـة فـي الأدب الأندلسـي،، مكتبـة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٤ م .
٣٣– **صلاح** (شعبان) ، موسيقى الشعر بين الإتباع والابتداع، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٨٩م .
٣٤– **ضيف** (شوقي) ، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات الأندلس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٩م.

٣٥- **صلاحية** (أحمد عبد القادر) شعر ابن شخيص الأندلسي ، جمع وتقديم ، دار ابن القيم للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق ، ط١، ١٩٩٢م.

٣٦- **عباس** (إحسان) ، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة، بيروت، ط٥، ١٩٧٨م.

٣٧- **عياد** (شكري)، موسيقى الشعر، مشروع ودراسة علمية، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٧٨م .

٣٨- **فروخ** (عمر) ، تاريخ الأدب العربي، الأدب في المغرب والأندلس إلى آخر عصر ملوك الطوائف، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨١م.

٣٩- **القلماوي** (رمضان عيد محمد بدر) ، شعراء بني عامر المغمورين بالأندلس، جمع وتحقيق ودراسة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٢٢م .

٤٠- **كشك** (أحمد) ، القافية تاج الإيقاع الشعري، مطبعة المدينة، القاهرة، ١٩٨٣م.

- محاولات التجديد في الإيقاع الشعري، مطبعة المدينة، القاهرة، ١٩٨٥م.

- التدوير في الشعر، دراسة في النحو والمعنى والإيقاع، مطبعة المدينة المنورة، المدينة المنورة، ١٩٨٩م.

٤١- **كيلاني** (كامل) ، نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي، المكتبة التجارية، القاهرة، ط١، ١٩٢٤م .

٤٢- **المجذوب** (عبد الله الطيب) ، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٧٠م.

٤٣- **الملائكة** (نازك)، قضايا الشعر المعاصر، منشورات دار الآداب، بيروت، ١٩٦٢م .

٤٤- **ناجي** (محمد عبد المجيد)، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٤م .